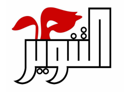
كيئتشيرو هيرانو

حكاية قمر

ترجمة: ميسرة عفيفي



كيئتشيرو هيرانو

حكاية قمر

الكتاب: **حكاية قمر**
المؤلف: **كيئتشيرو هيرانو**
المترجم: **ميسرة عفيفي**
عدد الصفحات: 160 صفحة

الترقيم الدولي: 978-9938-886-28-3

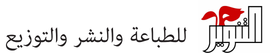
رقم الإيداع: 2013/19419

هذه ترجمة كتاب

Conte de la premiere lune 一月物語
Keiichiro Hirano 平野 啓一郎の著書 Copyright 2007

الطبعة الأولى: 2014

الناشر:



مصر: القاهرة – وسط البلد، 8 شارع قصر النيل، الدور الأول، شقة 10
هاتف: 0020227738931 - 00201007332225
فاكس: 0020227738932
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

لبنان: بيروت، الجناح، مقابل السلطان ابراهيم
سنتر حيدر التجاري، الطابق الثاني – هاتف وفاكس: 009611843340
بريد إلكتروني: beirut@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر، 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

رقم الناشر: 14/464-36

طُبع هذا الكتاب بدعم من المؤسسة اليابانية


ساهمت مؤسسة اليابان في تكاليف ترجمة وطبع هذا الكتاب.

يتراقص مترنحًا ما بين الحلم والواقع

توكوكو كيتامورا[1]

(1) توكوكو كيتامورا: شاعر وناقد وفيلسوف ياباني (اسمه الحقيقي مونتارو كيتامورا) ولد في مدينة أوداوارا بمحافظة كاناجاوا في العام الأول من عصر ميجي (1868) لأسرة عريقة من أسر الساموراي التي سقطت مع سقوط الحكومة العسكرية لأسرة توكوغاوا، فانتقل مع أبويه للعيش في طوكيو في منطقة سوكيا التي يقال إن الاسم الذي اتخذه للكتابة (توكوكو) مأخوذ من اسم تلك المنطقة لكنه غيره من سوكيا إلى النطق الصيني توكوكو. درس كيتامورا في مدرسة طوكيو الأهلية التي أصبحت فيما بعد جامعة واسيدا أشهر جامعة يابانية خاصة. شارك في بداية حياته في حركة الحريات والحقوق المدنية ولكنه تركها بعد اكتشافه تكالب رجالها على السلطة ومحاولة فريق منهم التخطيط لسرقة أحد البنوك من أجل تمويل الحركة. عندما بلغ التاسعة عشر من عمره تعمّد كمسيحي، وفي نفس العام تزوج من مينا إيشيزاكا. بعد تركه السياسة وتحوله لشاعر أصبح من رواد الحركة الرومانسية في اليابان وتأثر به كل الشعراء والأدباء الرومانسيون اليابانيون الذين جاءوا بعده. انتحر وهو في الخامسة والعشرين من عمره بشنق نفسه على شجرة في حدائق شيبا بوسط طوكيو.
شخصية بطل الرواية ماساكي إيهارا السياسية والأدبية تتشابه كثيرا مع كيتامورا ولو أن أحداث الرواية تبدأ بعد حوالي خمس سنوات من انتحار كيتامورا في الواقع. أي أن هيرانو أخذ شخصية كيتامورا ليبني بها عملا فنيا من خياله بعيدا عن النهاية الحقيقية للشاعر توكوكو كيتامورا.

في غروب يوم من أيـــام بدايات صيف العـــام الثلاثين[1] من عصر ميجي[2].

يقف شاب بمفرده فوق قمة جبل "أوسن داكه" الواقع في قرية توتسوكاوا بمحافظة نارا[3]. يرتدي زي "هاكاما" المتواضع فوق رداء أبيض، لم يصل الأمر به إلى أن يرتدي "القُبْقاب" الياباني العتيق عالي الكعب. وعوضًا عنه يلبس خُفًّا من القش، ولكنَّه من حيث هيئته؛ رأســـه الذي قَصُر فيه الشعر

(1) العام الثلاثون من عصر ميجي هو عام 1897م

(2) عصر ميجي: يؤرخ اليابانيون السنين بفترات حكم الأباطرة اليابانيين الذين يعتقد اليابانيون أن نسل الأباطرة مقدس وأنهم من نسل إلهة الشمس في سلسلة طويلة يقولون إنها لم تنقطع منذ أكثر من ألفين وستمئة من السنين بداية من الإمبراطور جينمو وحتى إمبراطور عصر هيسيه الحالي الذي هو رقم 125 في تلك السلسلة. بدأ عصر ميجي في عام 1868م بعد سقوط حكم عائلة توكوغاوا من الساموراي وعودة مقاليد الحكم إلى الإمبراطور في ثورة أطلق عليها ثورة ميجي كانت بداية التحديث ودخول اليابان في مصاف الدول المدنية الحديثة، وانتهى عصر ميجي في 1912م بعد 45 عاما من حكم إمبراطور ميجي وتولى بعد ابنه لتغير اسم العصر إلى عصر تايشو حتى عام 1925م ثم عصر شوا حتى عام 1989م، فعصر هيسيه.

(3) محافظة نارا: إحدى محافظات اليابان السبعة وأربعين، تقع في إقليم "كينكي" الغربي، وهي شرق محافظة أوساكا ثاني أكبر محافظات اليابان. مساحة محافظة نارا حوالي 3691 كم مربع أغلبها مناطق جبلية وغابات خضراء. كانت مدينة نارا عاصمة اليابان في بداية القرن الثامن الميلادي واستمرت عاصمة للبلاد لحوالي ثمانين عاما، إلى أن انتقلت العاصمة إلى مدينة كيوتو التي تقع في شمال نارا.

حتى منتهاه، ووجهه الذي يبدو عليه القليل من التعب، ربما يكون طبيعيًا لو أنه كان طالبًا جامعيًا يتسكَّع في نطاق حي «مِيْتا»[1] في طوكيو. وهو ما لا يتلاءم بأيِّ حالٍ مع المنظر الجبلي المحيط.

لهذا الشـــاب وجه في غاية الجمال. ولكن ظلالًا ارتســـمت أسفل محجر العيـــن العميق، وكأنَّ إبرًا حادةً للغايـــة قد حفرت عدة خطوط متتالية على صفيحة من نحاس تميل إلى الحُمرة. حركة الجفون سريعة وخفيفة، وتطرف عينه مرتين أو ثلاث مرات على التوالي. إنها أعراض ما يسمى «المزاج الصفراوي الأسود» الذي لم يكن يوجد في اليابان قبل انفتاحها على العالم. وكان ذلك أيضًا أمرًا غريبًا بشكل بارز.

امتصَّت غابة أشجار البلوط، التي تغطي منحدر الجبل دون مقاومة منه، لون الغســـق القرمزي، فأصبحت منتفخة مثـــل النحل الغارق في العسل. أشعة الشمس بين الأشجار قليلة، والضباب بعيد.

نظر الشـــاب خلفـــه وانتبه لمكانـــه لأول مرة، فوقـــف في موضعه مذهولًا.

«أين أنا؟ وكيف ضللت طريقي إلى هذا المكان؟»

فجأة ارتفعت في السماء أصوات طائر الوقواق.

الشاب اسمه «ماساكي إيهارا». يبلغ من العمر 25 عامًا.

وكان قد مرَّ بالفعل يومان منذ أن خرج من «هاشيموتو»[2] سائرًا على

---

(1) حي ميتا: حي في نطاق مدينة طوكيو يوجد به المقر الرئيس لجامعة «كيو» من أشهر الجامعات الخاصة في اليابان.

(2) هاشيموتو: مدينة تقع في محافظة واكاياما على الحدود مع محافظة نارا. توجد بها حاليا محطة هاشيموتو ولكن وقت الرواية كانت محطة فوتامي هي أقرب المحطات لها.

قدميـــه في طريق «كوهيجي»[1] من أجل زيارة معبد كومانو الكبير. وكان قد بات ليلة في نُزُل «أوئنيشي» في طريقه إلى «إيموزيْه» مرورًا بقمة جبل «أوباكو» المشهور بوعورته. وهناك اشترى ماساكي خُفًّا جديدًا استبدله بالخفّ القش الذي تمزَّق بشـــدَّة أثناء الطريق. ثـــم خرج من النُزُل في صباح اليوم التالي، متأخرًا قليلًا بســـبب بعـــض التفاصيل، ولكن بعد ذلك، وعلى غير المتوقع، كانت الرحلة سهلة، فرغم سيره البطيء جدًا إلَّا أنَّه تخطى إيموزيه ووصل إلى مدينة ميورا، وأخيرًا في حدود عصر ذلك اليوم كان على وشك صعود هذا الجبل.

ماســـاكي الذي يعاني كثيـــرًا منذ بداية العقد الثانـــي من عمره، من مرض يُطلـــق عليه في المعتاد «الوهن العصبي»، كان من عادته الســـفر في رحلات ترفيهية يخفف بها من كآبة نفســـه. بدأ ماساكي هذه العادة استجابة لنصيحة والديه. اقترح والده ذلك في البداية، وبعده أيَّدت أمه الفكرة. ولقد ذاق ماســـاكي فاعلية وتأثير السفر في أولى رحلاته. ولذا انطلق بعدها مسافرًا، وكأنَّه يسعى لتناول دواء سحري.

لم يكن ماســـاكي يحدِّد في الغالب الهدف النهائـــي للرحلة. فقط يركب القطـــار ، وعندما يمل، يترجَّل منه ويتجوَّل لمشـــاهدة المكان. يتعمَّق في تأمُّل مناظـــر المباني في المدينة. أو يـــزور الأماكن الأثرية القديمة. وفي بعض الأحيان، يتنزه في المواضع المنعزلة المشـــهورة بجمالها والتي لا يرتادها الناس عادة. ولأنَّ هذه هي طريقته في السفر، فيحدث أن يستمر في الســـير على قدميه لمسافات طويلة بلا تخطيط.

---

(1) كوهيجي: إحدى طرق الحج القديمة الخاصة بمعابد كومانو الثلاث الكبار، وكانت تربط معبد جبل كويا البوذي بمعبد كومانو الرئيس.

ولكنه لم يكن يشعر مطلقًا بأيِّ استياءٍ إزاء ذلك. بل على العكس، كان الإرهاق الذي يتلقاه الجسد مباشـــرة من العالم الخارجي، شيئًا ممتعًا بالنســـبة له. فهو مختلف تمامًا عن الإرهاق غير المباشـــر، الذي يتلقاه الجســـد داخليًا بعد أن يلمس من نفســـه ما لا يجب لمسه فيصنع رنينًا مزعجا. فالإرهاق المباشـــر منعش، يشبه وعثاء الطريق التي تزول فورًا منســـابة مع ماء أول استحمام في النُزْل. إرهاق يُهضم بسهولة مع طعام العشاء. إرهاق يتم تركه ونســـيانه غفلة فوق الفراش عند الانطلاق في صباح اليوم التالي.

منذ عدة أيام، اشـــتاق ماساكي فجأة إلى الإحساس بهذا الإرهاق مرَّةً أخـــرى. وعندها اقترض من بعض أصدقائه في الجامعة مالًا، ثم عاد إلى منزل عمه الذي يســـكن ماســـاكي معه مؤقتًا، واقترض منه كذلك بعض المال، ثم اســـتأذنه في الرحيـــل، وتوجَّه إلى محطة قطار «شينباشـــي»[1]، بالملابس نفسها التي كان يرتديها، وبدون أن يقوم بأيَّ استعدادات تقريبًا.

هناك عدَّة صدف عجيبة تفسِّـــر وقوع ماساكي في تيه هذا العمق من الجبل. وإذا بحثنا عن أصل ذلك سنجد أنَّ البداية كانت هنا.

وصل ماساكي أخيرًا إلى محطة القطار بعد أن ظلَّ يركض مع غيوم الظلام، ثم توقَّف عند بوابة الدخول، وأنعم فكره للحظات.

«لقـــد تركتُ العنان لقدميّ اللتين أتتا بي إلى هنا أخيرًا. حســـنًا، إلى

(1) محطة شينباشي: محطة قطار سكك حديدية في وسط طوكيو. عندما افُتتح أول خط سكة حديد بشكل رسمي في اليابان بين طوكيو ويوكوهاما في عام 1872 كانت هي بداية الخط من ناحية طوكيو. وعندما أنشأ خط توكاي الذي ربط بين طوكيو في شرق اليابان وكوبيه في غربها في عام 1889، كانت محطة شينباشي هي بوابة طوكيو الرئيسة لذلك الخط. وبعد إنشاء محطة طوكيو المركزية، أصحبت محطة شينباشي الآن محطة من محطات خط يامانوته الدائري في وسط طوكيو.

أين ينبغي أن أذهـــب بعد ذلك؟ هل أتجه غربًا بلا حيرة؟ أم أذهب إلى 「أوينو」[1] ومنها أتوجه شرقًا؟」

في آخر رحلة له، زار آثار ما خلفه الشاعر 「باشو」[2] في رحلاته حتى وصل في النهاية إلى 「ماتسوشـــيما」[3]. إذا كان الأمر كذلك، فهل يجب عليـــه هذه المرَّة الاتجاه غربًا؟ ولكن ماســـاكي عندمـــا يتذكر المناظر الرائعة ل 「ماتسوشـــيما」 التـــي انبعثت حيَّة نابضة مـــرَّةً أخرى في قلبه، يحسُّ أنَّ الذهاب إلى المكان نفسه مرَّةً أخرى ليس بالأمر السيئ.

「إلى أوينو؟ ....」

بعد أن كلَّم نفســـه هكذا، وعندما بدأ الســـير، مرَّ أمامه فجأة جماعة مكوَّنة من أربعة أو خمسة رجال ونساء يرتدون زيًّا غربيًّا.

「.... حقًّا، لا تزال 「يوشينو」[4] مكانًا جميلًا حتى بعد أن تسقط زهور الكرز.」

---

(1) محطة أوينو: أُنشئت في عام 1882 لتكون المحطة الرئيسة في أول خط سكك حديد أهلي في اليابان 「سكة حديد اليابان」 والذي ربط بين أوينو وكوماغايا في محافظة سايتاما شمال طوكيو. تعتبر حاليا إحدى أكبر محطات القطارات في اليابان وبوابة طوكيو للقادمين من شمال اليابان.

(2) باشو ماتسوو (1644 – 1694): أعظم شعراء الهايكو اليابانيين على الإطلاق ولد وعاش في القرن السابع عشر الميلادي أي في النصف الأول من عصر إيدو (1868 – 1603). سافر في عام 1689 في رحلة طويلة زار فيها إقليم اليابان الشمالي والشمالي الشرقي، نتج عن تلك الرحلة أشهر مؤلفات باشو وهو ديوان 「الطرق الخلفية الضيقة」. مات عام 1694 وهو في الخمسين من عمر.

(3) ماتسوشيما: مجموعة جزر تتبع محافظة مياغي في شمال غرب اليابان قريبة من اليابسة ومتصلة بها، وتمتاز بجمال مناظرها الطبيعية الخلابة.

(4) يوشينو: إقليم يشغل مساحة واسعة من محافظة نارا غربي اليابان. كانت مقرا للإمبراطورية الجنوبية وقت انقسام البيت الإمبراطوري الياباني إلى شمالي في كيوتو وجنوبي في يوشينو لمدة تزيد قليلا عن نصف قرن. ولكن بعد انهيار الإمبراطورية الجنوبية واضمحلالها عادت يوشينو إلى ما كانت عليه من كونها مدينة ريفية صغيرة.

كانت امرأة منهم قد قالت ذلك، وعلى فمها ابتسامة واسعة، امرأة تقترب من الثلاثين من العمر، تمسك بميل مظلة ناظرة لوجه رفيقتها التي تبدو أنَّها أمها. ترتدي قبَّعة فوق دبوس زينة على شكل وردة حمراء غُرز بزاوية ميلٍ في شعرها، وعلى القبَّعة ربطة فرنسية. لون شعرها غامق، وعنقها نحيفٌ شديد البياض كأنَّه عود نبات اللوتس. كانت المظلة المفتوحة وردية اللون كأوراق اللوتس. وكانت حافة القبَّعة الدائرية منقلبة كأنها عضو التذكير في زهرةٍ زاهية الألوان. ترتدي، ببساطة وبلا تكلُّفٍ، فستانًا أبيض فاخرًا ذي ذوقٍ رفيع، يليق حقًا ببنات النبلاء. هيئتها تلك وقد أوقفت قدميها فجأة وسط زحام الناس، جعلت ماساكي يتذكر لوحة شاهدها من قبل في مكتبة عمه لامرأة رسمها الفنان مونيه[1].

كانت تلك المرأة متناسقة تمامًا مع الزيِّ الغربي بلا أيَّة كلفة، ما يجعلها لا تقلُّ عن امرأة اللوحة التي رآها. وكان الحذاء ذو الكعب العالي يناسبها كذلك. ولكن رغم ذلك كان هناك شيء ما في مظهرها له ملمح عتيق. بشكل ما، كان عبق المحتوى الغربي الياباني متجانسًا بدقة، مثل زينة الرأس، وله جاذبية عجيبة.

نظرت تلك المرأة لمجرَّد لحظة واحدة فقط إلى الخلف تجاه ماساكي، وأمالت عنقها الصغير لتنظر إليه نظرة تبدو فاحصة. الشفتان الراقيتان المزيَّنتان بأحمر شفاهٍ خفيف، المنفرجتان قليلًا، جعلتا

(1) مونيه: كلود مونيه (1926 – 1840) رسام فرنسي رائد المدرسة الانطباعية في الرسم ويعتقد أن اللوحة المذكورة هي لوحة «المرأة صاحبة المظلة» التي رسمها عام 1875 وتعد من أشهر أعماله.

الأسنان البيضاء تظهر خلسة. ماذا تحاول أن تقول له يا ترى؟ نظر ماساكي بلا وعي إلى عينيها. لم تخرج كلمات. ولكن حواف الجفون كانت تختزن قوَّة ما ضئيلة، وكأنها قد انتهت بالفعل من قول شيء.

وقع ماساكي في حيرة. وبعد تردُّد بسيط، أبلغها من خلال لغة العيون شيئًا ما لا يحتوي على كلمات. شيء ما لم يصل بعد إلى درجة الوعي، ولا يفهمه حتى هو نفسه. ولكن ملامح المرأة أظهرت تجاه ذلك ابتسامة فيها شعور ضئيل بالرضا. ثم أدارت وجهها صامتة كما هي إلى وجهته الأولى من دون أن تتلفظ بكلمة واحدة. وتابعت السير مرَّةً أخرى، عندها وجَّهت كلامها، بشكل عفويّ وتلقائيّ مغاير تمامًا لما سبق، إلى الرجل المرافق لها الذي كان قد سبقها، وتخطَّت الازدحام ثم مرَّت من بوابة دخول المحطة، واختفت في لمح البصر بعيدًا تجاه الطرف الأقصى من الرصيف.

ودَّعها ماساكي بنظره وهو يقف في ذهول.

«لقد قالت يوشينو....»

هكذا همس لنفسه وهو يتوجَّه إلى نافذة بيع التذاكر، وهناك قام بشراء تذكرة لخط «توكاي» المتجِّه غربًا.

كانت تلك هي أولى الصدف العجيبة.

بعد أن لمح ماساكي تلك المرأة على الرصيف لآخر مرة، لم يتمكن من لقاءها مرَّةً أخرى. هؤلاء، في الأصل، من طبقة ركَّاب الدرجة الفاخرة، وماساكي من ركَّاب الدرجة العادية المزدحمة وكأنها محشوّة كالسوشي. يظلُّ المرء واقفًا فيها بدون فرصة للحصول على مقعد، وهو يسمع أحاديث الركاب عن الاقتصاد الذي انتعش بعد الحرب،

ثم أصبح على وشـــك أن يكون وضعه خطيرًا مرَّةً أخرى، وعن أسعار الأرز التي يبدو أنها ســـترتفع. ولذا فلا يمكن له الاقتراب منهم والسير خلفهم. ولكن حتى لو تمكن من ذلك، فعلى الأرجح أنَّ المرأة لم تكن تريد هذا. **فالكلمات** التـــي تبادلاها معًا لم تكن بهذا الوضوح، ولكنها يجب أن تتحقق بشكل خفي وســـري ويكون ذلك عن طريق الصدفة. من أجل ذلك، ورغم عدم وجود أيِّ شـــيءٍ تقريبًا يعتمد عليه في ذلك الشعور، كان يحتوي ماساكي شـــعور مبهم بأنَّه لو ذهب إلى «يوشينو»، فإنه سيلتقي مرَّة ثانية بتلك المرأة في مكان ما، بل إنَّه كان يؤمن بيقين، شبه كامل، بحدوث ذلك اللقاء.

أمضى ماســـاكي ليلته في غرفة ب «كيوتو»[1]، وفـــي الصباح التالي ركب قطار سكك حديد «نارا»، الذي كان قد بدأ تشغيله منذ فترة قريبة، من محطة «شيتشـــي جو»، وتخطى «كيزو»، ذاهبًا إلى «نارا»، وحيث بدَّل القطار وركب قطار سكك حديد «أوســـاكا»، فوصل إلى «تاكادا» مرورًا ب «أوجي».

وهناك بات ليلة في نُزُل.

أحسَّ ماساكي بالحنين والشـــوق إلى «يوشينو» التي أصبحت على مقربة منه.

---

(1) كيوتو: عاصمة اليابان القديمة ومقر العائلة الإمبراطورية لأكثر من ألف عام. لا زالت أكثر المدن اليابانية احتفاظا بطابعها العريق من حيث المباني التاريخية والأثرية. يوجد بها عدد كبير من المعابد البوذية ومزارات الشنتو يصل إلى الآلاف. انتقلت العاصمة من كيوتو إلى مدينة «إيدو» مقر حكومة توكوغاوا العسكرية وتم تغيير اسمها إلى طوكيو (كيوتو تعني المدينة العاصمة، وطوكيو تعني العاصمة الشرقية) في بداية عصر ميجي (1868م) وتواكبا مع دخول اليابان العصر الحديث.

في الواقع، هو لــم يزرها من قبل قط. ولكن من خلال كتب «تايهي كي»[1] و«نانكوساانداي كي»[2] وغيرها من الكتب التي كان يهوى قراءتها فــي صباه، أحــسَّ أنَّه قد زار تلــك الأرض بالفعل مــرَّات عديدة في خياله. في «يوشــينو» الواقعية التي هو على وشــك الوصول إليها الآن، الإمبراطورية الجنوبية[3] القديمــة اختفت بالفعل مثل الندى. ولكن لا بُــدَّ وأنَّ هناك امرأة جميلة تمشــي مختالة تزور مــا تبقى من أثار تلك الإمبراطورية التي اضمحلّت سريعا.

مــع تفكيره في ذلك، ركب ماســاكي في صباح اليــوم التالي خط

(1) تايهي كي: كتاب من كتب التراث الأدبي الياباني مؤلف في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي يقع في أربعين مجلدا، يحكي بشكل أساسي قصة الصراع بين البيت الإمبراطوري في كيوتو بقيادة القائد العسكري أشيكاغا وبين الإمبراطورية الجنوبية في يوشينو بقيادة الإمبراطور غودايغو، وسقوط حكومة كاماكورا وإنشاء حكومة موروماتشي العسكرية بقيادة أشيكاغا.

(2) نانكوساانداي كي: رواية تاريخية تحكي سيرة ثلاثة من محاربي الساموراي من أسرة كوسونوكي بدءًا من ماساشيغه كوسونوكي الذين حاربوا من أجل الإمبراطورية الجنوبية في يوشينو.

(3) الإمبراطورية الجنوبية (1392 – 1336): أنشائها الإمبراطور غودايغو في منطقة يوشينو جنوب كيوتو لذا سميت بالجنوبية وسميت الإمبراطورية في كيوتو بالإمبراطورية الشمالية بعد الانقسام الذي وقع بين اثنين من أفرع البلاط الإمبراطوري. بدأ الإمبراطور غودايغو الحكم في عام 1318 كإمبراطور مؤقت إلى أن يبلغ ابن أخيه الأمير كونييوشي ولي العهد السن القانونية، ولكنه طمع في العرش وأراد توريثه لأبنائه فرحل إلى يوشينو وأعلن نفسه إمبراطورا. أثناء الصراع بين الإمبراطوريتين انهارت حكومة كاماكورا العسكرية وتوحدت البلاد تحت حكم الإمبراطور غودايغو واستمر في الحكم حتى عام 1338، ثم ورثه ابنه غوموراكامي كإمبراطور للإمبراطورية الجنوبية، ولكن لم ييأس العسكريين من الساموراي وواصلوا محاربة الجيش الإمبراطوري حتى أسس أشيكاغا حكومة موروماتشي ودخلت اليابان في حرب أهلية استمرت قرون.

سكة حديد "نانوا"[1]، وبعد مرور فترة انتبه إلى عجوز يجلس في مقدمة الجانب الآخر للعربة. كان العجوز يلفُّ حزامًا مربعًا من قماش "كريب" بلون بنفسجي على رداء "كيمونو" منزلي من قماش مموَّج. ويضع على ساقه "جُرمُقًا"[2]، ويظهر من طرف الرداء الذي قد شُمِّر، فخذٌ هو عبارة عن عظم وجلد فقط. الذراع رفيع كأنَّه عود قصب. ولكن رغم ذلك، تكوين الجسد القوي يدل على توافر الصحة على عكس ما يُتوقع.

كان قد بلغ من العمر أكثر مما يسمح بوصفه بالكهل. سقط اللحم عن الوجه مثل ثمرة الكاكا المجفَّفة التي نفخت سكَّرها، لونه خفيف السمرة، وتتناثر شعيرات لحية بيضاء هنا وهناك. يحلق منتصف رأسه بحيث لا يمكن معرفة هل هو أصلع أم لا. ويتبقى من شعر الرأس مقدار ضئيل فوق الأذنين فقط.

بالطبع لم يكن أحد معارفه. ولكن ما قد جعله يشعر بألفة عجيبة مع وجه ذلك العجوز، هو أنَّه منذ الأمس وهو يركب معه دائمًا العربة نفسها، منذ رحيله عن كيوتو. وها هو اليوم يكرّر ذلك، نظر ماساكي عفويًّا إلى ذلك الوجه. وعندها وقف الرجل ووجَّه إليه الحديث.

وكانت تلك هي ثاني الصدف العجيبة.

"أخيرًا انتبهتَ إليَّ؟"

بعد أن جلس العجوز بجواره وكأنَّ ذلك أمر طبيعي، تحدث إليه حديث من يعرفه حقَّ المعرفة.

ماساكي لم يكن يسعد بمثل هذه اللقاءات في رحلاته، فهو يتمنى لو

(1) خط سكة حديد نانوا: خط سكك حديد استمر تشغيله فقط في الفترة ما بين عامي 1896 و1904 وكان يربط بين محطتي تاكادا وفوتامي مرورا بمحطات شينجو، غوسه، واكيغامي، كوزو، كيتاوتشي، غوجو.

(2) غطاء يوضع على ساق القدم لحمايتها من الأذى، ويعتبر الجرمق من عدة القتال الحربية خاصة المحاربين القدماء في العصور الوسطى.

يستطيع مواصلة السفر والترحال وحيدًا. ولو كان لا بُدَّ من لقاء، يجب أن يكون ذلك اللقاء بناءً على ما يريده هو شـــخصيًا وفي الوقت الذي يفضله. وإذا لم يحدث ذلك، فالفائدة التي يرجوها من السفر تنخفض إلى النصف.

ارتســـم شعور بالاستياء على وجه ماســـاكي. ولكنَّ العجوز لم يبدُ من حركتــــه أنَّه يهتم بذلك ولو قليلًا. وأخـــذ يتكلَّم متنقلًا بين رؤوس موضوعاتــــه واحدًا بعد الآخر، وأحيانًـــا، يضحك بصوتٍ عالٍ على ما يقوله من مزاح. يعطى كلُّ ذلك، إضافة إلى مظهره، شعورًا كئيبًا بشكلٍ ما. في عائلة ماساكي، أحد الأقرباء أصابه الجنون، وقد زاره عدَّة مرَّات في مستشفى الأمراض العقلية، ولذلك يعلم ماساكي جيدًا أنَّ الشخص الذي أصابه خلل في عقله، يُطلق مـــن وقت لآخر ضحكاتٍ جافة بلا معنى. طريقة ضحك ذلك العجوز كانت من هذا النوع.

ظلَّ ماســـاكي يوافق الرجل علـــى ما يقول، بغـــرض تحمُّله حتى الوصول لمحطة «كوزو»، لأنه لم يكن لديه حيلة أخرى. وعند ســـؤاله قال العجوز إنه ينوي زيارة معبـــد «كومانو» الكبير[1]، لذا هو ذاهب إلى محطة فوتامي نهاية هذا الخط، ويســـير من هناك على قدميه في طريق «كويا»، ليصل «كومانو» بعد أن يمر بطريق «كوهيجي».

---

(1) معبد كومانو الكبير: أحد أشهر معابد ديانة الشينتو اليابانية يوجد المعبد الرئيس في وسط الجبال في محافظة واياكاياما جنوب محافظة نارا. يقال إنه أنشأ في عصر الإمبراطور سوجين وهو الإمبراطور العاشر في أسطورة الأباطرة في اليابان، وتقول الأسطورة إنه عاش في القرن الأول قبل الميلاد تقريبا ولكن لا يوجد ما يؤكد وجوده في الواقع وإن كانت بعض الدراسات التاريخية الأخيرة ترجح وجوده وأنه ربما يكون أول أباطرة اليابان. يوجد ما يزيد على الثلاثة آلاف معبد لديانة الشنتو في اليابان تحمل اسم معبد كومانو.

「أليس في وجود رفيق الطريق ما يجعلــك أنت أيضًا مرتاح البال؟ فعلى كلٍ، طريق 「كوهيجي」 تسبِّب الشعور بالوحدة.」

أضاف العجوز ذلــك إلى كلامه. على ما يبــدو أنَّ لكنته هي لكنة المنطقة المحيطة بإقليم 「كاواتشي」.

فتح ماساكي مقلتيه عن آخرهما دهِشًا.

「هل يقصد ذلك العجوز المقزِّز أن يطلب منِّي مرافقته حتَّى كومانو؟ ...لا مزاح في الأمر!」

وعندها تكلَّم ماساكي لأوَّل مرَّة كلامًا جديًا ورفض العرض.

「أنا آسف بشدَّة، ولكنَّي لسـُـت أنوي الذهاب إلى 「كومانو」، وذلك لأنني سأنزل في محطة 「كوزو」.」

كان ذلك على ما يبدو ممتعًا للغاية بالنسبة للعجوز. وبعد أن ضحك بمفرده بصوت عالٍ قال:

「دعك من 「يوشينو」. أنت ستذهب معي لزيارة معبد 「كومانو」.」

عندها أظهر ماساكي ما يدل على نفاد صبره.

「إذا كنتَ أنت تريد الذهاب إلى 「كومانو」، فهذا شأنك وأنت حرٌّ فيه. ولكنِّي ذاهبٌ إلى 「يوشــينو」 وهذا شأني وأنا حرٌّ فيه. وليس لك أيُّ حقٍ في أن تقول لي ماذا أفعل.」

عندما سمع العجوز ذلك، ضحك هذه المرَّة ضحكة من لا يستطيع كتم الضحك وقال:

「إذا كنــت تقول ذلك، فمحطة 「كــوزو」 قد فاتتك منــذ زمن بعيد، والمحطة التالية هي 「فوتامي」.」

نظر ماســاكي إلى خارج القطار بسرعة. ولكن لم يتمكن من التأكُّد

بمجرد النظر. وهنا نادى المحصِّل الذي تصادف مروره، وأوقفه ليتأكَّد من المحطة التالية.

«أجل، لم يتبق إلَّا «فوتامي»، آخر محطة للقطار في هذا الخط.»

تعجَّب ماســاكي ونظر ناحيــة العجوز. أظهر له العجوز ابتســـامة خفيفة كما هو متوقَّع، وهو يراقب وجه ماساكي بحماس. كانت صورة العجوز تشبه كثيرًا شبحًا من الأشباح. كانت لا تشبه من بعيد ولا قريب صورة الإنس. القطار كان في بعض الأحيان يهتزُّ بعنف، وهو مســتمر في الســير بسرعة عالية. يُســمع من نافذة العربة بصعوبة صوت ضئيل لتسرُّب الرياح. ....

كلَّما تدرَّج ماســاكي مع الذاكــرة تعمَّق اضطرابــه. فمهما حاول التذكُّر، لا تسترجع ذاكرته توقُّف القطار في محطة «كوزو». هل تخطاها القطار ولم يتوقَّف بها؟ لا، هذا مستحيل. إذا كان الأمر كذلك، هل لم ينتبــه لتوقفه؟ ولكن، في الأصل، لم تكن «كوزو» وحدها، بل غاب عن ذاكرته توقُّف القطار في أية محطة من المحطات الأخرى. وكأنَّ القطار قد وصل من محطة تاكادا إلى هنا في قفزة واحدة. أي نعم، عندما ينظر إلى ســاعته يجد أنَّه مرَّ بالفعل الوقت المناســب لتلك المسافات بين المحطات. إذن ....

فــي ذلك الوقت مرَّت بخيــلاء أمام عيون الاثنين فراشــة خطَّافية الذيــل، كانت قد ضلَّت طريقها ودخلت القطــار. جناحيها بهما نقشٌ ذهبــي يحتوي على لــون أخضر خفيف، وتوجد علامــة عجيبة بلون قرمزيّ على كلِّ جناح. وعلى الرأس قرنيّ استشــعار يقفان في تأهُّب ويبدو عليهما الحنكة.

العجوز عندما رآهــا خاطبها بنبرة لا تختلف عن مخاطبته لنفســه

قائلا:

「مرحبًا، حتى أنتِ أيضًا أتيتِ إلى هنا لاستقبالنا؟」

ثم بسرعة مدَّ ذراعيه الاثنين، وطبَّق كفّيه فقبض عليها.

「.... ماذا؟ لا تقلقي إنه قريب جدًا.」

أخيرًا، بعد الوصول إلى 「فوتامي」 أطلق العجوز سـراحها في الهواء قائلًا لها:

「حذار من أن تضلي الطريق!」

بدأ ماسـاكي، الذي كان يشـاهد هذه النهاية، يشـعر أخيرًا أنَّ هذا العجوز مُخيف.

استاء ماسـاكي بشـدَّة بسـبب عدم قدرته على النزول في محطة 「كوزو」. فهو أولًا لم يكن راضيًا عن أنَّ هذا العجوز المصبوغ بما يشـبه الجنون، قد سلب انتباهه وأبقاه في القطار. وثانيًا، يأسف كثيرًا لفوات فرصة لقاء امرأة المظلة مرَّةً أخرى في 「يوشينو」. عندما تحرَّرت الفراشة وتطاير من أجنحتها أثرٌ لامع، أحسَّ ماساكي أنَّ شبح تلك المرأة أيضًا اختفى منطلقًا، هو الآخر، إلى السـماء. أحسَّ أنَّ ذلك العهد العجيب الـذي تبادلاه معًا، قد ضاع ولن يتحقق. كذلك أحسَّ أنَّ المرأة ومدينة 「يوشـينو」 كلاهما قد رفضتاه. وسبب استجابة ماساكي بشكل عجيب، لطلب ذلك العجوز بمرافقته إلى كومانو، جاء من ذلك الشعور باليأس قليلًا، ومن أنَّه فكَّر أنَّ الذهاب لزيارة معبد كومانو الكئيب أكثر ملاءمة لذلك الشعور.

ولكنَّ الذي اختفى مع الفراشـة الراحلة، لم يكن شبح المرأة فقط. فبعد أن بدأ السـير، تغيَّر العجوز تمامًا ولـم يعد ينطق بحرف. بل كان

يســير متوجِّهًا إلى الأمام فقط، ومن حين لآخر، يخرج من جيبه ورقة ويهمــس بكلمات مبهمة، علــى ما يبدو هو يكتب شــعرًا أو أغنية ما. في البداية فرح ماســاكي بذلك. وأحسَّ في قلبه بنقاءٍ روحيّ وإن كان ضئيلًا. ولكن مع الوقت أصبح، على العكس، يشعر بالقلق. فالعجوز يبدو، وهو يتكلم كثيرًا، رجلًا غامضًا تمامًا. وعندما سكت عن الكلام أصبح ماساكي يعتقد أكثر وأكثر أنَّه غير مأمون الجانب.

من أجل ذلك، جرَّب أن يســأله بعض الأســئلة غيــر المهمَّة بقدر الإمكان. ولكن على غير المتوقَّع جاءت إجاباته جادَّة. في البداية كان يسأل بهذا الشــكل عن أشــياء لا قيمة لها، ولكن تدريجيًا أخذ الملل يتسلَّل إليه، فبدأ يسأل، متخيِّرًا كلماته، عن أشياء أكثر أهمية. أحد هذه الأسئلة كان عن الطريق. سأله ماساكي إذا كان الهدف هو الذهاب إلى المعبد الرئيســي، ألم يكن من الأفضل السير في طريق "غوجو" باتجاه طريق "نيشيكومانو" الموازية لنهر "توتسوكاوا"؟

وكان سبب ذلك الســؤال أنَّ ماساكي، بشكل شــخصيّ، يريد أن يســير في هذه الرحلة وهو يشــاهد مياه النهر. ولكــن العجوز أجابه بأنَّ تلــك الطريق تهدَّمت بســبب ذلك الفيضان الكبيــر. وأضاف أنَّه ربما يكون قد تمَّ إصلاح الطريق الآن ولكن الأســلم اســتخدام طريق "كوهيجي". بالمناســبة، ما ذكــره العجوز بقوله الفيضــان الكبير، هو فيضان نهر "توتســوكاوا"، بسبب الأمطار الغزيرة في شهر أغسطس من العام الثاني والعشــرين لعصر ميجي[1]. كانت الأضرار هائلة، وحدثت انهيارات ضخمــة في أغلب الأماكن، ووصل عدد خزانات الســدود

(1) العام الثاني والعشرون من حكم ميجي هو عام 1889م

التـــي انهارت إلى 37 خزانًا، ووصل عدد المنازل التي تهدَّمت بالكامل إلـــى 426 منزلًا، والتي تهدَّمت جزئيًّا إلـــى 184 منزلًا، وغرقت أراضٍ زراعية تصل مســـاحتها تقريبًا إلى 227 هكتارًا، ووصل عدد القتلى إلى 168 شخصًا بمن فيهم الســـيد “تاكايوشي تاماكي”[1] عمدة قرية “أوتشي يوشينو”. ويسجِّل تقرير لجنة تقصِّي الحقائق الميدانية وقتها، بكلمات مسهبة الحالة المأساوية للأضرار، فيقول التقرير:

“انعدمـــت تمامًا مناظر القـــرى العديدة التي كانـــت موجودة على ضفاف نهر “توتسوكاوا” قبل الفيضان.”

أحسَّ ماســـاكي نوعًا ما بأنَّه فقد حماسته بســـبب بساطة ذلك الردّ الذي قاله العجوز. وقال: “إذا كان الأمر كذلك فلنأخذ طريقًا أعقد قليلًا ونستغل الفرصة لزيارة معبد جبل “كويا”[2].”

ولكن العجوز أجاب بنبرة ساخرة:

“أنا لا أحبُّ الرهبان.”

أحسَّ ماســـاكي بأنَّ كلَّ الكلمـــات الكثيرة الأخـــرى التي كان قد أعدها في حلقه اســـتعدادًا لنطقها قد ارتدَّت جميعًـــا إلى داخله، مثل

(1) تاكايوشي تاماكي (1837 – 1889): سياسي ياباني ولد عام 1837 لأسرة من الساموراي. أصبح في عام 1880 عمدة قرية أوتشي يوشينو مات عام 1889 في الثانية والخمسين من عمره ضمن ضحايا الفيضانات الضخمة التي حدثت في المناطق حول نهر توتسوكاوا بسبب الأمطار الشديدة والإعصار التي ضرب تلك المنطقة في شهر أغسطس من ذلك العام.

(2) معبد جبل كويا: معبد بوذي يوجد في محافظة واكاياما أعلى قمة جبل كويا الذي يبلغ ارتفاعه حوالي الألف متر عن سطح البحر، أنشأه الراهب الكبير كوكاي في حوالي عام 819 ميلادي. وتربط طريق كوهيجي بينه وبين معبد كومانو الرئيس كطريق للحج في الفترة التي ارتبطت فيها البوذية مع ديانة الشينتو ارتباطا وثيقا.

الذي يمسك حبلًا بيده ويشده بكل قوَّة ثم فجأة يُترك الحبل من الجهة الأخرى، فيسقط ممسكه وتلتصق أردافه بالأرض.

في ذلك اليوم، أخذ ماساكي غرفة مع العجوز في نُزُل، وانطلقا مبكرًا من هناك في صباح اليوم التالي، وسارا في طريق جبل «كويا» من دون توقُّف، حتى وصلا إلى نُزُل «أوئنيشي». أثناء الطريق، كما هو متوقَّع، كان العجوز قليل الكلام، ولكنه أحيانًا يتذكَّر أحاديث تخصُّ رحلاته السابقة، ومن دون أن يتوجَّه لأحد، تجده يهمس لنفسه بما يشبه المعاناة كلمات من قبيل:

«أتأمرني أن أمرَّ على طريق السفر هذه مرَّةً أخرى؟»

لم يكن ماساكي حتى ذلك الحين قد أخبر العجوز باسمه. لم يخبره، لأنَّ العجوز لم يسأله. ومن جانبه، العجوز كذلك لم يخبر ماساكي عن اسمه. وهذا أيضًا بسبب أنَّ ماساكي لم يسأل العجوز عن اسمه. وهنا قام ماساكي بتعريف نفسه للعجوز بإضافة كلمات مناسبة إلى اسمه، ثم حاول أن يسأل العجوز عن اسمه.

قال العجوز:

«ألا تعرفني؟ أنا توموباياشي روكورو ميتسوهيرا[1].»

ماساكي أصابه الرعب. وعاد لينظر إلى الخلف تجاه ذلك الوجه.

---

(1) ميتسوهيرا توموباياشي (1813–1864): كاتب وشاعر وأحد علماء اليابان الكبار في نهاية عصر إيدو. اسم الشهرة «روكورو» من المحبين للنظام الإمبراطوري. عندما وقع صراع تن تشو في عام 1863 أسرع بالذهاب إلى مدينة غوجو وشارك مع جماعة تن تشو وكان هو مسجل الأحداث وكاتب الجماعة. ألقي القبض عليه ورُحّل إلى كيوتو وأثناء سجنه كتب سجلات الأحداث في كتاب باسم «سجلات الحرب في جبل الجنوب». أعدم بضرب عنقه في شهر فبراير من العام التالي.

العجوز أضاف إلى ذلك:

«من جماعة «تن تشو»[1].»

وضحك بصوت عالٍ راضيًا، بشـــكل كامل، عما أحدثه كلامه من دهشة للفتى.

بالطبع لم يصدق ماساكي ذلك القول. ولكنه كان يعتقد أن العجوز يمزح مزاحًا كريهًا. ولم يكن رعب ماساكي بسبب اعتقاده أنَّه يسافر في رحلةٍ مع روح شخصٍ من جماعة «تن تشو» كان قد أُعدم بضرب عنقه، ولكن لأنَّه لاحظ ظهور علامات الجنون مرَّةً أخرى على وجه العجوز. وبعد أن أدرك خطورة مواصلة السفر بصحبة هذا الرجل، كان يفكر في طريقة للهرب بشكل ما خارجًا بمفرده ليلًا من نُزُل أوئينيشي.

حسنًا، في أوئينيشي اســـتطاع ماساكي الافتراق عن العجوز بالفعل بتخطيط جيِّد. ولكنَّ تفاصيل ذلك اختلفت كثيرًا عما كانت عليه خطته الأولى. يمكننا القول إنَّ الأمنية تحققت معكوسة.

فقد اســـتيقظ ماســـاكي في صباح اليوم التالي أخيرًا، بعد أن أيقظته صاحبـــة النُزُل التي قلقت من نومه لفتـــرة طويلة، حتى بعد أن ارتفعت الشـــمس إلى كبد الســـماء إلى درجـــةٍ تضاءل معها ظلُّ ســـقف النُزُل وأصبح صغيرًا.

ولكن لا حيلة في ذلك، لأنَّ طالب طوكيو الذي يشـــكو من الوهن

---

(1) جماعة تن تشو: تجمع يتكون من حوالي أربعين من المحاربين الساموراي الشباب الذين تركوا قيادتهم وقرروا محاربة حكومة إيدو في عام 1863. ولكنهم اُعتبروا متمردين على الحكم الشرعي وقاتلتهم القوات الحكومية بشراسة وألحقت بهم الهزيمة تلو الهزيمة حتى تم القضاء عليهم تماما ولم يبق منهم أحدا. ولكن كانت حركتهم أول مسمار في نعش حكومة إيدو العسكرية التي انهارت بعد خمس سنوات وتولى الإمبراطور الحكم.

العصبـــي، جاء إلى هنا متخطيًـــا قمَّة جبل 「أوباكـــو」، تقريبًا، بخطوات ســـريعة، يهرول دون أيِّ اســـتعدادٍ مســـبق. بالإضافة إلى أنَّه في الليلة الماضية، ظلَّت جماعة من الناس كانوا في طريقهم لزيارة معبد 「كويا」، حتى وقتٍ متأخر منهمكين في الغناء والحديث الصاخب، لذا فالوقت الذي اســـتطاع فيه ماســـاكي الخلود إلى النوم كان بعد أن أسودّ الليل بوقت طويل.

عندما نُودي على ماســـاكي، وكما يفعل عادة عند تأخره في النوم، فتح عينيه للحظة بأقصى حد لهما، ثم قفز إلى ساعة الجيب الموضوعة على رأس الوسادة.

كانت العقارب قد تخطَّت بالفعل الساعة العاشرة.

بعد أن أعلن عن تذمُّره بلسانه قليلًا، نظر إلى الفراش المجاور. فلم يجد أثرًا للعجوز. وقد تمَّ رفع الفراش، وكذلك غاب متاع العجوز.

「معذرة، أين العجوز الذي كان نائمًا هنا؟」

مع قليل من الشكِّ سأل ماساكي مالكة النزل.

أجابت مالكة النُزُل بعد أن تردَّدت قليلًا تجاه ذلك السؤال:

「لقد غادر ذلك الرجل النُزُل بالفعل منذ الصباح الباكر.」

「غادر؟」

「أجل. أنا أيضًا تأكَّدّت منه وسألته على أيِّ حالٍ: 「والشخص المرافق لك، أهو بخير؟」 فقال: 「لا مانع من الرحيل بدونه، إنه شـــخص تعرَّفت عليه فقط لفترة في الطريق إلى هنا. ورغم ذلك فقد دفع أجرة شخصين قبل أن يذهب」. ثم قال وكأنَّه يكلِّم نفسه: 「هذا الشخص لا يجب الوثوق به.」، ولذا فقد أصابني القلـــق... ولكن هل كان من الأفضل أن أخبرك

بذلك في وقته؟」

「.... لا ... إذا كان الأمر كذلك فلا بأس.」

هكذا ردَّ ماســاكي على أي حال. ثم بعد ذلــك ارتفعت ضحكاته تلقائيًا.

「على أيِّ حــال، فراقي ذلك العجوز أمر جيِّــد. ولكنَّ حكايته تثير الدهشة!」

بعد أن خرجت مالكة النُزُل، ظلَّ ماســاكي شارد الذهن، يفكِّر في أنَّ مَثَلْ 「خدعه ذئب」[1] والذي يعبر عن الدهشــة، قد ولد عندما صادف أحد القدماء موقفًا مثل هذا. ثم فكَّر فجأة وهو يقوم بتغيير ملابس النوم كما يلي:

「ولكن رغم قول ذلك، وحتى لــو كان ذئبًا، فهل يخدع الناس فقط دون أن يكســب من وراء ذلك أيَّ أموالٍ؟ ... بل إضافةً إلى ذلك، فقد دفع لي أجرة النُزُل!...」

ولكنَّ ذلك الأمر ولَّد داخله شــكًا لم يكــن قد فكَّر فيه من قبل. ثم قام ببطء وتؤدة بوضع يده متحسِّسًــا حقيبته الــذي أتى بها معه، وتأكَّد من محتويات حافظة نقــوده. ولكنَّ النقود لم تُمسُّ. وخارج الحافظة، يوجد فقط أحدث أعداد مجلة 「ميزاماشــي جوســا」[2] والمنشور فيها رواية 「الشــاعر المرتجل」[3]، وكتاب 「رحلة حج تشايلد هارولد」 للورد

---

(1) خدعه ذئب: مثل ياباني يشير أن موقف الدهشة الكبرى من موقف حدث للشخص. وهو يأتي من الأساطير اليابانية القديمة التي تؤمن أن حيوانات مثل الذئب والراكون لها القدرة على التحول إلى شكل بشري لخداع الإنسان أو السخرية منه.

(2) ميزاماشي غوسا: مجلة أدبية في عصر ميجي، بدأت شهرية في يناير من عام 1896 وأصبحت فيما بعد غير دورية. آخر عدد لها صدر في فبراير من عام 1902 حمل رقم العدد السادس والخمسين. كان يقوم برئاسة التحرير فيها الأديب أوغاي موري.

(3) رواية الشاعر المُرتجل ([illegible]): رواية للأديب الدنماركي هانس أندرسن

"بايرون"[1]. بالطبع بحالهما من دون أن تمسهما يد.

ماساكي مع ارتياحه واطمئنانه، أصبح في النهاية لا يفهم الأمر برمَّته، ومرَّةً أخرى أعاد التفكير، لا بُدَّ وأنَّ الذئب قد سحره بالتأكيد. أو أنَّه قد تحوَّل إلى حيوان راكون؟ ثم على أيِّ حال، التفكير بأن ذئبًا قد خدعه، أكثر احتمالًا بكثير من التفكير أنَّ ذلك العجوز كان شبحًا لروح عضو جماعة "تن تشو".

حسنًا، بعد هذه التفاصيل العجيبة، ماساكي الذي رحل عن "أوئينيشي"، وأخذ يسير مرَّةً أخرى في طريق "كوهيجي"، أحسَّ بأنَّه استطاع أخيرًا الحصول على استجمام السفر الذي كان يشتاق إليه، وشعر بمتعة كبرى داخل قلبه.

لا يوجد تغيير في المقصد النهائي للرحلة. لقد فكر لمرَّة في تغيير اتجاهه والعودة لزيارة معبد "كويا"، ولكنَّه بعد الوصول إلى هذا الحد اعتبر أن العودة ستكون خسارة لما بذله من جهد، فرجع عن تفكيره هذا وقرَّر المضي في طريقه إلى المعبد الرئيس.

السماء الزرقاء كانت هادئة لا غيم فيها وتحتلها أشعة الشمس بالكامل. تختلط خضرة الجبال بالعديد من الظلال، وكلَّما ارتفعت

الشهير بكتابة قصص الأطفال، نشرها لأول مرة في عام 1835 وهي رواية رومانسية تحكي قصة رحلة أندرسن شخصيا إلى إيطاليا.

(1) اللورد بايرون (1788 – 1824): جورج غوردون بايرون شاعر رومانسي إنجليزي ولد في لندن، حصل في العاشرة من عمره على لقب اللورد بايرون خلفا لجده. درس في جامعة كمبردج ولكنه ترك الدراسة مفضلا الذهاب في رحلات سفر متجولا بين أوروبا والشرق الأوسط من أشهر أعماله "رحلة حج تشايلد هارود" و"دون جوان" و"مانفرد" و"نبوءات دانتي". مات بالحمى في عمر السادسة والثلاثين.

الخضرة إلى الأطراف ظهرت تدريجيًا ألوانها زاهية وهي تستقبل أشعة الشمس الذهبية. قمم الجبل المتطرِّفة كأنَّها ترفض الاختفاء في الأفق البعيد، فتظهر رفيعة ضئيلة. من حين لآخر، يُضيف صياح الوقواق، في تلك القمة البيضاء، إليها هدوءًا وسكينة.

بعد أن تخطى ماساكي «ساندايا» ووصل إلى «ميورا»، بدأ يحس أن لديه مُتّسع من الوقت.

خلال الطريق أخذ يتأمَّل نباتات السوسن والأوركيديا وبنفسج الكرز التي تفتَّحت زهراتها بحياء، ممَّا أسعد مقلتَيّ عينيه وتوقَّف مرَّات عديدة أمام تلك المناظر التي ينجذب إليها القلب تلقائيًّا. اكتشف وجود زهرة عدَّاء الراشومون[1] تذكَّر أحد الأقدمين الذي يقال إنَّه قد شاهد كفَّ جنيَّة مقطوعة، ملقاةً وسط هذه الزهور ذات اللون البنفسجي المتضافرة في عدَّة طبقات، فغرق ماساكي في تحليلاتٍ لا نهاية لها.

عندما أصبحت الشمس مائلة قليلًا، وقد وصل أخيرًا إلى تقديرٍ لوقت تجاوزه الجبل، قام ماساكي بملأ كفّيه من الماء النقي الذي يتدفَّق نابعًا على حافة الطريق، وروى به عطشه، ثم جلس في الجوار مريحًا قدميه لفترة في مكان منعش فوق تلَّة من الأحجار تحت ظلِّ

(1) زهرة عدّاء الراشومون (الاسم العلمي [illegible] [illegible]): هي زهرة من الفصيلة الشفوية (اسمها العلمي [illegible]) لها ساق يبلغ طوله من 15 سم إلى 30 سم. تقترب أوراقها من الشكل المثلث، تتفتح الزهرة ما بين شهري أبريل ويونية، ويكون لونها بنفسجي فاقع. يكثر وجودها في اليابان والصين وشبه جزيرة كوريا.

أشجار زهور الويســتريا[1]. لم يكن يشعر بإرهاق كبير، ولم يكن هناك سـبب قوي يحتِّم عليه الراحة، ولكنه بمجــرَّد أن وضع الماء في فمه، تدفَّق منه العرق وكأنَّ الماء ينضح كاملًا من جميع أجزاء جسمه. وهو ما قتل فيه تلقائيًا كلَّ رغبة في التعجُّل بالذهاب دون سبب.

ورغم ذلك، فقد توقَّف في هذا المكان لمدَّة نصف ساعة.

لقد أسكره إحساس وجوده منفردًا وسط هذه الطبيعة الخلَّابة. منذ رحيله عن "أوئينيشــي" وحتى وصوله إلى "إيموزيه" كان الناس ذاهبون وآتون ســواء زُوّار معبد "كويا" أو عُمّال مدينة "كادوشــين"، وكانت في الطرقات حيويَّة ونشــاط يناســبان ذلــك، ولكن بعد قليل، وبشــكل عجيب، انقطعت أرجل الناس عــن الطريق، وبعد أن جلس هناك منذ قليل، لم يمر من أمام ماســاكي أحدٌ إلَّا شخصًا يخاطب مرافقه الوحيد بصوتٍ عالٍ قائلا: "وهاتشيرو تاكيهارا[2] ذاك ....".

أخيرًا، رفع ماســاكي خصره متثاقلًا وبدأ الســير مرَّةً أخرى. وفي اللحظة ذاتها مرَّ ببطء من أمام وجهه شيءٌ ما. وعندما نظر جيدًا، كانت الفراشــة خطَّافية الذيل ســابقة الذكر. كان على جناحيها زهرة باللون القرمزيّ فوق أرضية ذهبية مزركشــة متفتِّحة قليــلًا. وبعد أن رفرفت

---

(1) زهور الويستريا (الاسم العلمي [illegible]): وتعرف عامة باسم الويستريا اليابانية. زهور من فصيلة البقوليات (اسمها العلمي [illegible]) يتراوح طولها من 20 سم إلى 80 سم ولونها بنفسجي فاتح. ولا توجد إلا في اليابان على الأغلب ولذا تسمى الويستريا اليابانية.

(2) هاتشيرو تاكيهارا (1276 - 1347): من محاربي الساموراي الذين اشتركوا في الصراع أثناء الانقسام بين الشمال والجنوب. كان من كبار الساموراي في قرية توتسوكاوا الذين حموا الأمير مورييوشي أثناء هروبه من جيوش حكومة كاماكورا العسكرية. وأقام الأمير مورييوشي في بيته فترة تزيد على الستة أشهر.

بجناحيها مرتيـــن أو ثلاث مرات، وكما لو كانت ورقة شـــجر، بدأت الطيران في اتجاه مائل. بلا وعي تابعها ماســـاكي بعينيه. بالطبع هو لم يعتقد أنَّها الفراشة نفسها. ولكنَّ العلامة الحمراء النادرة التي انعكست ســـريعًا على حدقة عينه، كانت مشابهة تمامًا لعلامة الفراشة التي أطلق العجوز سراحها في الهواء، وهو ما جعله ينجذب إليها.

في البداية كان الأمر يقتصر على ذلك. ولكن أشـــكال الفراشـــات التي تتراقص في الطرقات في وســـط النهار، استولت تمامًا على قلب ماســـاكي. لقد قالت له عاملـــة النُزُل في «أوئينيشـــي» إنَّه على الأغلب يســـتطيع الوصول إلى المعبد الرئيس في غضـــون يوم. ولكنَّ الرحلة، في الأصل، بلا مقصد نهائي. ولذا، لا مانع من التأنِّي، والســـير ليومين أو لثلاثة أيام وعدم التعجُّل بهذا الشـــكل. بالتأكيـــد، يوجد حتما نُزُل أو مكان يســـتطيع المبيت فيه لو ذهب إلى منطقة الينابيع الســـاخنة في «جويوأونسن»، أو قبل ذلك في «نيشيناكا» أو «تاماغايتو». ولحسن الحظ لا زال هناك متسع في ميزانية الرحلة، إذا كان الأمر كذلك. هكذا وأثناء تفكيره بهذا الشـــكل، أحسَّ بأنَّ حماســـته تزداد وســـار بطفولية وراء الفراشـــة، وكلَّما تأمَّلها، جذبه جمالها الذي لا مثيل له، أيضًا، شـــكلها الذي يبدو كأنَّه يقـــوم بإغرائه، وبطريقة ما يبدو وكأنَّه غير مبالٍ، يتطابق مع امرأة المظلة التي كان ماســـاكي على وشـــك نسيانها، وأخيرًا تبعها بشكل لا يلائم شخصيته، وعندما اجتاز الأحراش منحرفًا عن الطريق، ضلَّ ماساكي طريقه سريعًا وهو في أعماق الغابة الواسعة.

وكانت تلك هي الصدفة الأخيرة...

... على أيِّ حال، بدأ ماســـاكي السير تجاه طريق الجبل، وهو يبعد

عينيه ببطءٍ عن أشعة الغروب.

لا يســتطيع ماساكي بأيِّ حالٍ تذكُّر الطريق التي سلكها حتى وصل إلى هذا المكان. من خلال الجــروح المتبقية في ذراعيه الاثنين، يعلمُ إلى أيِّ مدىً كانت الطريق وعرة، ولكن لماذا يا تُرى لا يتبادر إلى خياله منظرٌ واحدٌ من المناظر التي مرَّ عليها خلال تلك الفترة؟ المنحدر شديد المَيَــلان. وموضع الأقدام خَطِر. إذا كان الحــال كذلك، فقدرته على الاســتمرار في ملاحقة الفراشــة من دون توقُّف، ومن دون أن يتحوَّل الطريق في المنتصف، فجأة، إلى هوَّة، يُعتبر شيئًا عجيبًا على نحوٍ ما.

ثم اختفى الآن أثر الفراشة تمامًا.

وعندما أدار ماساكي رأسه في ما حوله تنهَّد متأسِّيًا.

لا يوجد هنا أيُّ أثرٍ لبقية المناظر التي شــاهدها على جانبي الطريق الرئيسة. أشــجار البلوط المترعرعة في كلِّ أركان المكان، مع تمايلها واختلاطها، تكشف فاضحة جذوعها الغريبة التي تشققت وقد أصابها العفن الأخضر، وتضافر عليها اللَّبلاب، أو نزعت الحيوانات والطيور لحاءها. يبدو منظر الأزهار اللانهائية التي تدلَّت من الفروع في أشــعة الغروب وكأنها حشــرات حمراء وســوداء. وأحيانًا عندما تهبّ ريحٌ خفيفة، تهتزُّ قليلا تحت حفيف الأغصان.

بدأ الليــل في الاكتمال. يتراكم الظلام وســط الجبل من عمق إلى عمق، وهو يبتلع ســريعًا العقب ثم يبتلع الركبــة وعندما تتنبَّه تجده قد اقترب ووصل إلى الصدر. ورغم ذلك فحركة امتداد الظلام لا تتوقف. تبتلع العنق، ويبتعد كثيرًا فوق الرأس ليملأ طبقات عدَّة، فيبتلع الجبل، ويبتلع ضبــاب الليل، وأخيرًا، يحاول أن يبتلع الســماء بأكملها. وفي

النهاية العالم كلّه يغرق في عمق الظلام، مثل الأسماك التي ماتت في البحر العميق، ولم يعد قشرها الرفيع يلمع تحت ضوء القمر، ولكنها تتمنى الوصول إلى سطح الماء.

أوراق الشجر المتعفِّنة التي لا يُعرف كم مرَّ عليها من الأعوام وهي تتراكم فوق الأرض، مع الرائحة العفنة الرطبة الذائبة بشكل غريب في رائحة حمض سُكّري، ومصاحبة للمرونة التي تحاولُ بلا طائل مقاومة الضغط، إلّا أنَّه في كلِّ مرَّة تدوسها بقدمك تعطيك إحساسًا خادعًا مقززًا وكأنك تطأ جثة ميِّت أسفل القدم. تُؤخذ الأقدام في تلوِّي الهبوط والصعود، ولذا عندما تضيف قوَّة غير مقصودة أحيانًا، تُصدِر أعوادٌ من أفرع الشجر، التي لم يكتمل تعفنها، صدى صوت يسمعه ماساكي في باطن قدمه، كأنَّ عظامًا صغيرة يتم دهسها.

وفوق رأسه، يستمر صياح طيور الوقواق على فترات متتابعة مختلطًا مع أصوات البلابل. وهو ما يسبِّب ألمًا بشكل ما. فهو صوت صافٍ ورائقٍ إلى درجة الألم.

مع استمراره في السير أخذ ماساكي يتتبع، مرَّةً أخرى، أثر الطريق في ذاكرته حتى وصل إلى هنا. هذه المرَّة أحسّ بقدرته على تذكَّر مقاطع لمناظر مختلفة. ولكن للأسف لم يصل الأمر إلى حدِّ التأكد من ترتيبها. في الأصل، بعد أن عكس وجهة سيره، والمناظر التي يراها لا يوجد بينها منظر واحد يرتبط بما في الذاكرة. فإنه إذا مرَّ بمكان ما ولو مرَّة واحدة، فمن المفترض أن تسحب علامة ما من علامات ذلك المكان شبكة الذاكرة الضبابية تدريجيًا وتقربها من وعيه بحيث يتوقع ما ستراه العين بعد قليل. ولكن هذا الأمر لا يحدث معه مطلقًا. فكلَّما

ظهرت أمامه أشجار أو حشائش، كان يحس كأنَّه يراها لأول مرة. أثناء السير تذكَّر ماساكي ما حدث للقطار عندما مرَّ بمحطة كوزو من دون أن يتوقَّف، عندما ركب القطار من تاكادا فوصل إلى فوتامي، كانت حالته وقتها مشابهة لما هو عليه الآن. وكأنَّ أحدًا ما قد قفز به بعيدًا عن دورة انسياب الزمن في تلك الفترة فقط. بالضبط مثل الفراشة السالفة الذكر، التي ضلَّت طريقها إلى داخل القطـــار، وأثناء طيرانها من طرف العربة إلى الطرف الآخر، مرَّ القطار وتوقَّف في محطة أو محطتين، لتجد أنها خلال تلك المسافة الضئيلة للغاية قد حُملت إلى أرض تجهلها تمامًا.

وعندها أصاب ماساكي الذهول فجأة من أحد الأحداث المشؤومة التي تذكرها.

“ذلـــك اليوم الذي قابلتُ فيه المرأة ذات المظلة، ألم يكن على قبعة المـــرأة **حافة بيضاء**؟ .... آه، **نعم**، هو كذلك كما توقعت. لقد نســـيتُ تمامًا ذلك الأمر حتى هذه اللحظة، لو أنَّ ما أتذكره صحيح، فقد ســـبق لي أن قرأتُ في كتابٍ ما حكاية متوارثة في أيرلندا، عن قصة رجل قابل امرأة ترتدي قبعة عليها حافة بيضاء، ثم مات بعد اللقاء بستة أشهر...”

مع تلـــك الذكريات، عادت فجـــأة ملامح وجه المـــرأة إلى وعي ماســـاكي. بعد ذلك، رأى الفراشـــة خطَّافية الذيل وهي تطير إلى عنان الســـماء، ثم كفّي العجوز اللتان أطلقتا ســـراح الفراشة، مع طرفة عين المرأة، الفراشة التي انطلقت طائرة تُخفي أجنحتها ما تحمله في ظهرها من رســـومات وعلامات، ثم كفَّي العجوز تغلقان في الهواء ممســـكة بالفراشة. في لحظة تختلط وتتبدل اللقطات الثلاثة، وعلاوة على ذلك، محطة شينباشـــي، وعربة الدرجة العاديـــة، وطرقات “كوهيجي”، ونُزُل

「أوئينيشـــي」 وجبل 「ميورا」، تتلامس كلُّ تلك الصور لتظهر ثم تختفي. وهنا فكَّر ماســاكي لأوَّل مرَّة في ترابــط كلِّ تلك الصدف ببعضها. ثم تدريجيًا وبشكل متسارع بدأ القلق يتسرَّب إليه، وتعمَّد أن يحدِّث نفسه بنبرة غضب متشنجة:

「.... يا للغباء. ماذا تعني تلك الحكاية الخرافية؟ في المقام الأول، لم يمرُّ على لقائي بتلك المرأة أسبوع، فما بالك بستة أشهر... وبالإضافة إلى ذلك، المكان الذي أنا موجود فيه الآن وســط أحد جبال محافظة 「نارا」، وليس أيرلندا بأيِّ حال. ... سحقًا، ما الذي أصابني يا تُرى؟ ....」

ولكن حتى تلك السخرية من الذات لم تواسِ مشاعره مطلقًا.

.... عندما نظر إلى الأمام أحـــسَّ وكأنَّ الليلَ قد تراكم أكثر وأكثر. وأصبح موضع أقدامه مشكوك فيه. اشتبكت أقدامه مع جذور الأشجار التي برزت فوق الأرض، وعندما وضـــع يده من دون وعي على جذع الشجرة سمع تحت راحة يده صوت انسحاق حشرة، فسحب يده على الفور. في بطن اليد تبقى سائل أصفر مخضرّ على شكل بقعة صغيرة.

「حســنًا، قابلت تلك المرأة منذ أيام قليلة، وإضافة على ذلك، لستُ في ايرلندا.」

رفع ماساكي وجهه وهذه المرَّة فكَّر هكذا، ولكن من دون أن يصدر عنه صوت. ثم واصل تفكيره فجأة:

「الكـــنَّ الزمان والمكان بالنســبة للحالة التي أنا فيها الآن مشـــكوك فيهما تمامًا.」

وعندها، رأى ماســاكي على مرمـــى البصر أمامـــه نقطتين باللون القرمزي تلمعان مثل ثمرتيّ 「حرنكش」 أحمر.

「.... هل هذه هي .... الفراشة نفسها؟」

ولكنها في اللحظــة التي حاول الاقتراب منها، طارت ســريعًا مع حركة قدمه اليمنى، كانت سرعتها مثل السهم.

「آه .... آه!」

ألمٌ عنيف يقترب من حدِّ فقدان الإحســاس ألهب قدمه. تســارع نبضه، وانساب عرق بارد فوق ظهره.

لمع ما أمام عينيه وكأنَّه في وضح النهار. منبع الألم كان نقطتين بلون قرمزي تضيئان في ريب. ومهما ركل الهواء بقدمه لا تفقد تلك الإضاءة لمعتها. يهزُّ قدمه بعنف. ثم يهزها مرَّةً أخرى. يهزُّ قدمه اليسرى. يتبخر العرق، الذي ينزل من جميع أنحاء جسمه، سريعًا كالندى. الجبهة تفقد حرارتها تدريجيًا. ومع رفع نبــرة تأوُّهاته، هزَّ قدمه اليمنى هزَّة كبرى، فجأة، موضع قدمه غــرق في ظلام تام، انخفضت الحــرارة قليلًا في لحظة وكأنَّه قد لمس قطعة من الثلج.

زحفت قشور جافة تمسح بخفّة على الكاحل.

ســقطت ركبتي ماساكي على الأرض من شــدِّة الدوار. إنّه يتنفس بعنف. ضربات الصدر أيضًا عالية. وعندما مدَّ يده التي ترتعش بشــدِّة إلى ساقه انزلقت أنامله على شيء لزج.

كانت الدماء تتدفَّقُ بقوَّة.

「هل سأموت هنا؟」

اليد التي تمســك فتحة الجرح، ضغطت عليه بقوَّةٍ لتخرج الدماء. ثم قامت اليد الأخرى بالبحث بعصبية وتسرُّع عن الحقيبة، ثم بالبحث داخلها عن منديل فقبضت عليه بقوَّة، وبعدها فقد ماســاكي وعيه وهو

على هذا الحال...

في وسط الصمت الرائق الذي يســود المكان، كان صدى صوت الوقواق يتردد قويًا جميلًا.

تخلَّص الليل أخيرًا من بقايا الغروب. ولكنَّ القمر لم يكن قد ظهر بعد في قلب السماء ذات اللون الأرجواني المائل للزرقة.

الآن، يوجد جســد شابٍ قد سقط على وجهه مغشيًا عليه في وسط جبال «أوسن داكه». ثم ظهر ظلٌّ لشــخصٍ آخر يطيل الوقوف بجواره، في غموضٍ تام.

❋ ❋ ❋

... عندما فتح ماســاكي عينيه وجد أنَّه يرقد في الفراش. وعيه الذي عاد إليه أخيرًا بشــكل ضبابي، وكأنَّه مثــل البعوضة التي يصل صوتها فقط من بعيد، ثم يقترب صوتها ببطء تدريجيًا، ثم يتوقف فجأة، ويبدو وكأنَّه سيذهب طائرًا مرَّةً أخرى مرتنحًا.

«أين أنا؟ وما هذا المكان؟ ....»

يعرف أنَّه داخل غرفــة ما. ولكن لا توجد أية إضاءة ولا يســتطيع التعرف على حال الغرفة. لأنَّ الظلام قد اســتولى على ما يحيط به من ضوءٍ وظلٍّ، إلى الدرجة التــي تجعله يعتقد أنَّ غلق جفونه والتأمل في باطنها سيكون أكثر لمعانًا وإنارة من الغرفة.

ولـمَّــا حاول النهوض من الفراش، هجم عليه فجأة صداع شــديد. وعندما يئس من عدم وجود حيلة، حاول ليّ عنقه قليلًا لتأمُّل ما حوله، تدريجيًا بدأت العين تعتاد على الظــلام، وأصبح يتعرَّف، على الأقل، على ظلال الأشياء.

على ما يبدو هي غرفة بمساحة أربعة حصيرات ونصف من التاتامي، هكذا اســتطاع ماساكي التخمين. ثم بعد ذلك انتبه إلى أنَّ حقيبة السفر التي ظلَّ يحملها أثناء الطريق موضوعة بجوار الوسادة. لمست يده التي مدَّها إلى الحقيبة قليلًا من الطين الذي لوَّث أسفلها.

「.... آه، أجــل، أجل لقد فقدت الوعي عندما كنتُ في ذلك الجبل، .... وبعد ذلك، .... بعد ذلك، .... للأســف لا أعرف ماذا حدث بعد ذلــك. .... ولكن على أيِّ حــالٍ ما دمتُ بهذا الوضــع، فهل أنقذني شخص ما؟ ....」

بعد فترة من الوقت، سُمع صوت احتكاك خُفِّ القش بالأرضية.

يقترب ببطء شــديد. أخيرًا، انقطع الصوت، وفُتح الباب في هدوء. وأنيرت الغرفة بإضاءة قوية.

「أراك قد عاد إليك وعيك.」

كان الذي اقترب منه، ورفع الشــمعة ليتفحَّص وجهه، رجلًا حليق الرأس تمامًا، وقد تخطى بشكل أو آخر الستين من العمر.

「.... نعم، .... ولكن أين أنا الآن؟」

「أنت وسط جبل 「أوسن داكه」 الذي ضللّت الطريق فيه. لقد حملتُك أنا إلى هذا المعبد بعد أن فقدتَ وعيك بســبب لدغةِ ثعبانٍ سام، على الأرجح من نوع 「الماموشي」.」

「حقا؟ .... ثعبانٌ ســام؟ .... لا أدري حقًا كيف لي أن أشــكر لك صنيعك هذا؟」

منع الرجل ماساكي الذي كان يحاول النهوض بصعوبة قائلًا له:

「موضــع اللدغة به قطعٌ غائــرٌ جدًا، وقد نزفتَ دمًا كثيــرًا. كثيرًا ما

يحدث ذلك في حالة عضة الكلب مثلًا، يتســرَّعُ المعضوض ويحاول أن يجذب يده، هذا هو ما حدث على ما يبدو. ولكن على العكس، ربما كان ذلك سببًا في خروج السم مع الدم النازف. فحتى لو قلنا إنه ثعبان 「ماموشي」 فلا يجب الاستهانة به. أنت شخصٌ محظوظ للغاية.」

「حقا؟」

سكت ماساكي لبرهة بعد أن قال ذلك، ثم واصل كلامه:

「هل هذا المكان يبعد كثيرًا عن معبد 「كومانو」 الرئيس؟ لقد كنتُ في طريقي إليه.」

「أجل المعبد الرئيس لا يزال بعيدًا باتجاه الجنوب. هل كنت تسلك طريق 「كوهيجي」؟」

「أجل هو كذلك.」

「إذا كان كذلك، فعلى الأرجح أنَّك أخطأت الطريق من جبل 「ميورا」، وأخذت، مخطئًا، جسر 「هياكوتشو」. فلو كنت واصلت السير على نفس الطريق لكان من المفروض أن تصل إلى 「كوتاني」.」

「آه، فهمت، لهذا السبب انقطع مرور الناس فجأة عند ذلك المكان... هل هذا ما حدث؟ هل أخطأتُ الطريق؟」

تذكَّر ماساكي مع هذا القول منظره وهو يطارد الفراشة، ولم يستطع أن يمنع ضحكة مريرة لا يمكن التمييز بينها وبين التنهد.

「لقد كنت تصدر أصواتًا وتعاني أثناء نومك، ربما بسبب السم. على الأرجح أنت كنت ترى أحلامًا مزعجة وكوابيس.」

「أحلام مزعجة؟ .... إذا تحدثنا عن الأحلام، فكل ما مرَّ عليَّ حتى اليــوم، يبدو لي وكأنَّه أحلام... تلك المــرأة، وذلك العجوز، وكذلك

الفراشة...

وعندما أتبع ماساكي كلامه هذا بتنهيدة خمول، انفرجت لأول مرَّة أسارير الراهب العجوز وردَّ بسؤال:

أهذا ما رأيته حتى اليوم؟

أجل. فخلال اليومين أو الثلاثة أيام الماضية حدثت لي عدَّة أحداث غريبة بشكل مستمر.

فهمتُ. إذا كان الأمر كذلك فربما تكون جميعها أحلامًا.

ماذا؟

أي نعم، فأنت ترقد في هذا الفراش منذ ثلاثة أيام وثلاثة ليالي.

ثلاثة أيام؟... حقا؟... ألهذا السبب أحسُّ بالجوع؟

مرَّةً أخرى ضحك ماساكي ضحكة وكأنَّها زفرة أسى.

وهبَّت على خديه حزمة ضئيلة من نسائم الليل التي دخلت من الباب بعد أن تخطت حديقة المعبد. وأغمض جفونه بسبب إحساسه بالمتعة.

لا مانع من أن تظلَّ كما أنت على هذا الحال. ولأنَّنا في وسط الجبال فلا يوجد أشياء فاخرة، ولكنِّي توقَّعت أن تسترد وعيك هذه الليلة، ولذا أعددت لك حساء أرز ساخن. سأقوم بإحضار أواني الطعام، انتظر كما أنت على هذا الحال قليلًا.

بعد أن غادر الراهب العجوز الغرفة، ظلَّ ماساكي وحيدًا يسمع في هدوء وقع أصوات أقدام الراهب وهي تبتعد.

كان الليل هادئًا إلى درجةٍ عجيبة.

ألا تكون تلك اللحظة بالذات استمرارًا للحلم الذي لم أصحُ منه بعد؟

تســـلَّل منظر الهلال من النافذة التي فُتحت أثنـــاء مغادرة الراهب، وقد اتخذ شـــكل الحاجب وكأنَّه رُسم سريعًا بريشة رفيعة. تتألَّق تحت ضوئه الخافت للغاية، مقلتيّ ماســـاكي اللتان فُتحتا مرَّةً أخرى، بجمال صافٍ ومرهفٍ وكأنَّهما بيضُ حيوانات بحرية. وكأنَّها الأمواج الرفيعة التي تغسل شـــاطئ البحر، التي تتقاذف متتابعة على الشاطئ ثم ترتدُّ، ولا تجفِّف الجفون ذلك البلـــل. لا يوجد في ذلك الوجه الذي أصابه الذبول، إلَّا تينك العينين هما فقط المشـــَّبعتين بجمالهما القديم حتى الآن بلا تغيُّر.

بالطبع، ماســـاكي شاب وسيم وجميل الوجه. ولكن ذلك الجمال، كان جمالًا عجيبًا يوجد في مكان ما بعيد. على سبيل المثال، يتمُّ التعبير أحيانًا عن الشـــياطين والأسورا[1] في اللوحات والتماثيل الفنية بصورة أكثر جمالًا، بشكل ملفت، من باقي المخلوقات. القوَّة التي توجَّه ناحية كائن ما مـــن المعبودات مثل الآلهة والســـاكرا[2]، تزيل القبح والقذارة الموجودة في الأصل تمامًا، وأحيانًا، تظهر في هيئة تلتحف بقوَّةٍ جذب عنيفة للغاية. جمال ماساكي، لو شئنا الدقة، كان جمالًا من هذا النوع.

(1) الأسورا: هي كائنات أحد العوالم الست التي تعتقد البوذية أن الروح تظل تتناسخ فيها حتى تصل إلى النيرفانا أو الإشراق، تبعث الروح في عالم من تلك العوالم بناء على ما تفعله الروح في الحياة السابقة، إن فعلت خيرا ترتقي لأعلى وإن فعلت شرا تنحدر لأسفل. والعوالم الست بترتيبها من أعلى لأسفل هي عالم الآلهة، وعالم الإنسان، وعالم الأسورا، وعالم الحيوانات، وعالم الشياطين، وعالم الجحيم. وصفات الأسورا أنها مخلوقات تشبه الآلهة في قدراتها ولكنها تشبه الشياطين في أفعالها. وتظل في صراع وقتال دائمين طوال فترة حياتها.

(2) الساكرا: هي الآلهة الحامية في الديانة البوذية. أصلها من ديانات الهند القديمة الهندوسية والبراهماتية ولها وجود كذلك في الديانة الزرادشتية. في البوذية هي الآلهة التي ساعدت بوذا على الوصول إلى الاستنارة والإشراق.

كل من يعرف ماساكي، يرى أنَّ ذلك يتناسب معه تمامًا.

في الأصل، تفكير ماســاكي تجاه ما يُسمى بالشرِّ، عادي للغاية. من ثم، وبسبب ذلك، فهو لا يتقبَّل فعل الشرِّ وكأنَّه الأمر الطبيعي. إذا كان الأمر كذلك، وإذا ســألنا لماذا يمكننا مقارنة جمال ماســاكي بجمال شخصيات مثل الشــيطان والأســورا، لأنَّه يوجد على الدوام **حماسٌ** متأجِّجٌ في عقله الباطن.

في الأصل، كلمة «**حماس**» تلك اســتعارها ماساكي من أشعار «لي بــاي»[1] كترجمة لكلمة «Impassioned» الإنجليزيــة. في حياته العادية، كان ماســاكي كثيرًا ما يكتبُ أشــعارًا جيِّدة، وقد نشرت عدِّة مجلاَّت أدبية تلك الأشــعار وكذلك نُشــر له مقالات نقدية عن الشعر. أشكاله الشــعرية الحديثة كانت مبتكرة وجديدة للغاية، وقد اســتُقبل ماساكي بحرارة شــديدة كرائد للشــعراء الرومانســيين الذين كانــوا قد بدأوا يظهرون تدريجيًا وبكثرة في عالم الشعر. وبصفة خاصة عندما اكتشف كلمــة «**الحماس**» أثناء كتابــة مقالة تتحدث عن اللــورد «بايرون»، فقد اجتاحت عالم الشعراء قشــعريرة حينها، بعد ذلك، وكلَّما تمَّ الحديث عن ماساكي لا بُدَّ وأن يتم استخدام تلك الكلمة.

أما عن ماســاكي نفســه، فقد كان يملك إحساسًــا بذلك **الحماس** منذ وقت مبكر. فقد كان ذلك أشــبه ما يكــون بمرضٍ مزمن خاصّ به وحده. يشــعر أنه من أجل الحصول على إحساس **أنه يحيا حقًا**، فلا بد من خوض تجربة ســمو روحي نابض بالحركة العنيفة، سمو نقي غير

---

(1) لي باي (701 – 762): شاعر صيني من عصر إمبراطورية تانغ. ترك ما يزيد عن الألف قصيدة ويعتبر من أشعر وأعظم شعراء الصين على مدى تاريخها.

مســـتمر يتخطى اللحظة، ويدمر الحياة المعيشية كلها بضربة واحدة لا رجعة فيها. ويرى أن تحقيق ذلك لا يتــم بمجرد تراكم الأيام تدريجيًا بعضها فوق بعضها، وانتظار ما يمكن الحصول عليه في نهايتها. فإذا لم تتملك **الحرارة** من الدم وتجعله يفور مثل الماء المغلي، سوف يتوقف جريانه، ويتغير لونه ويتجَلَّط. وإذا لم يُســتخدم الجسد بعنفٍ إلى حدّ الألم، فسوف يسقط في قاع مللٍ خانق.

الحماس هو عبارة عن كتلة من الزجــاج ذابت من الحرارة وتتألَّق بلون ذهبي. أمّا إذا تم اســتخدامه في الحياة المعيشــية، فإنها ستمنحه شــكلًا نفعيًا عاديًا، ولكنه سيبردُ بسرعة شديدة كلَّما استطاعت الأيدي لمســه. وسيكون بريقه المتبقي متواضعًا. بل وحتى ذلك البريق سيُفقد أخيرًا، ويصبح مُعْتمًا تحت أوســاخ الأيدي، ثم على الأرجح، ينكسر مــن دون الانتباه إليه وبلا أيِّ معنًى مطلقًــا في لحظة تالية من لحظات الحياة.

لا يشعر ماساكي بالارتياح تجاه ذلك. ولكن رغم ذلك القول، فهو لا يدري ما هي الطريقة التي يجب عليه فعلها لإكمال حماســه في هيئة ما. هو مستعد نفسيًا، ولكنَّه كان دائمًا معرفيًا أكثر من اللازم، ليتركَ كلَّ شيءٍ هباءً مُؤثِرًا العواطف فقط.

فــي لحظة ارتبــاط **الحماس** مع الفعــل حقًا، كان ماســاكي دائمًا يســحب تلك اليد التي كان قد مدها، ويتقهقر خطوة، وينظر إلى ذلك المكان الذي كان على وشك أن يلمسه للتو. ثم يغرق في التفكير. يفكِّر بعمق، هل يوجد حقًا قيمة أو فائدة من لمسه؟ أو يفكِّر في ما سيحدث بعد أن يلمســه. ثم يفكِّر في ما سيحدث لو لم يقدر أن يلمسه في نهاية

الأمر. وخلال تلك المدَّة، يبرد تدريجيًا **حماسه**. يبرد من دون أن يكوِّن شكلًا. فمن الأفضل لو أنَّه اختفى وفُقد تمامًا. ولكن بعد ذلك، وبشكل مؤكد، تتبقى بلا طائل كتلة ثقيلة من القبح الشديد.

وذلــك أمر لا يمكن الصبــر عليه. لا يمكن احتمــال ذلك العبء الخامل المتثاقل.

عندما كان فتيًّا ســريع الحماس، اشترك ماساكي في حركة الحقوق المدنية، وتعرَّف على عدد من أعضـــاء الحزب الليبرالي القديم، وقام بالعمل معهم في أنشطتهم السياســية. وكان ذلك لأنه، باندفاع أهوج، أشعل بنفسه **الحماس** المتبقي داخل جسده، راغبًا في تشكيله على نحو ما، فترك له العنان بالاشتراك في الحركة السياسية التي كانت، بالصدفة، قريبة منه. كان هذا فقط هو كلُّ ما في الأمر. ثم في النهاية، لم يكن أمامه في ذلك الوقت إلَّا أن يتأمَّل غاضبا **حماســه** ذلك وهو يبرد مرَّةً أخرى من دون أن يســتطيع فعل أيَّ شيءٍ تجاهه. ويحتقر من أعماق قلبه غباء أعضاء الحزب الليبرالي، ويضحك من انهيار حركة التحالف المشترك بسبب اختيار ”شــوجيرو غوتو“[1] وزيرًا في مجلس الوزراء، كأنَّه يسخر من ذاته هو.

حيــاة ماســاكي، إذا فصَّلنا القــول، كانت عبارة عن تكــرارٍ مملٍّ ومتواصل لتلك العملية. بعد ذلك، كان قد قرَّر مرَّة أن يصبح سياســيًا

---

(1) شوجيرو غوتو (1838 – 1897): سياسي ياباني كان من محاربي الساموراي الشباب في نهاية عصر إيدو، الذين شاركوا وحاربوا من أجل إنهاء الحكم العسكري للساموراي وتسليم مقاليد الحكم للإمبراطور ولحكومة مدنية. وفي عصر ميجي شارك في تأسيس عدة أحزاب سياسية ليبرالية على النمط الغربي الحديث. عُين وزيرا للمواصلات والبريد في ثلاثة حكومات ووزيرا للزراعة والتجارة في حكومتين في الفترة من عام 1889 إلى عام 1894.

كبيرًا يتولى عملية إعادة إحياء مصير الشـــرق المتهالك. ثمَّ قرَّر مرَّة أن يصبـــح في وقت ما روائيًا يتحكم في القضايا الفكرية والسياســـية بقوَّةِ قلمه وكتاباته مثل فيكتور هوغو[1]. وكذلك، رغب في أن يصبح مفكرًا. وأيضًا، رغب في أن يكون من كبار التجار. ثم في النهاية فشـــل في أن يصبح أيًّا من ذلك، وأخيرًا يحاول الآن أن يتقبَّله المجتمع كشاعر.

أفرغ ماســـاكي في تأليف الشـــعر كلَّ ما يملك من **حماس**. وكانت ســـرعته في الكتابة تدهش أقرانه على الـــدوام. كان عمله ينطبق عليه القول: إنَّ القلم يخضع لإرادتـــه. وكان ذلك في منتهى الوضوح، إلى درجة أنَّ هناك من انتقد منهجه في التأليف، ذلك الذي يجعله يهتم أكثر بفعل كتابة الشعر ذاته أكثر من عملية صقل محتوى القصائد. وربما كان ذلك نقدًا أصاب كبد الحقيقة. ورغم ذلك، فســـبب أنَّ الناس لم ترتب في موهبته الشـــعرية هو أنَّ تلك الســـرعة في التأليف لم تجعل جودة أعماله تنخفض بالضرورة. إنَّ أشـــعار ماساكي التي تعبِّر عن مشاعره، لا يوجـــد بها على الإطلاق أية أجواء عاطفيـــة كئيبة أو عبارات مطوَّلة عديمـــة الفائدة تدلُّ على الحقد، مثل تلـــك التي تُرى في أعمال بعض الشعراء الرومانســـيين قليلي الثقافة، ولكنَّ تعبيرات ماساكي ذات قوَّة ومتانة، وبســـاطة تلقائية، وتمتلئ بالحنين إلى الماضي السحيق، وفي

(1) فيكتور هوجو (1802 ‐ 1885): أديب ومفكر ورجل سياسة فرنسي شهير، نشر في حياته أكثر من خمسين رواية ومسرحية وترجمت أعماله إلى أغلب لغات العالم الحية ومن أشهر أعماله البؤساء وأحدب نوتردام. قضى فترة طويلة من حياته منفيا خارج فرنسا أثناء حكم نابليون الثالث. أصبح فيما بعد عضوا في مجلس الشيوخ ثم عضوا بالجمعية الوطنية. كان من مؤيدي الحرية في السياسة والرومانسية في الأدب.

ذات الوقت تنســاب بين الســطور مهتزة كماءٍ صافٍ، عاطفة رقيقة لا يمكن التعبير عنها بالكلمات.

ولكن إذا كان الأمر كذلك، فهل هو على اقتناع تام بأنَّه شــاعر؟ لا، هو ليس بالضــرورة كذلك. بل على العكس يحسُّ بعــدم الرضا . ما سبب ذلك يا ترى؟

بالطبع، يوجد أحيانًا ما لا يعجبه، ولكنَّه راضٍ تمامًا عن كلِّ الأشعار التي كتبها. وتقييم جماعة الشــعراء له ليس ســيئًا. هو يشعر أنَّه يُحسِن التخلَّص من **حماسه** من خلال التأليف. ورغم ذلك يحدث في أحيانٍ كثيرةٍ أن يقع فريسة مرض «الوهن العصبي» العنيف حتى في أكثر أوقات تألُّق إلهامه الشعريّ، وأكثر أوقاته غزارةً في الإنتاج. ولم يكن ماساكي يستطيع فهم ذلك.

تعاسة ماساكي كانت بسبب عدم امتلاكه أيَّ تفسيرٍ للتناقض الجذري الموجود بين حياته وتأليفه للأشعار. يوجد لديه أمل غير واضح المعالم في أنَّه إذا أفرغ حماســه في حركة الحقوق المدنية، أو أفرغه في تأليف الشعر، ســيحصل على نفس النتيجة بنفس الشكل. تأليف الشعر يوميًا، هو تجمّع لســموٍّ واحد فقط لا استمرارية فيه، ويعتقد أنَّ كلًّا منها عبارة عن تجربة جديدة مســتقلة بذاتها. في الحقيقة، ماســاكي لديه إحساسٌ بذلك. ولكــن الغرق في التفكير داخل النفــس، الذي يصاحب تأليف الشــعر، يأخذه من دون أن يدري بعيدًا عن الحياة اليومية. وعندما ينتبه، يشــعر وكأنَّ العالم قد ابتعد عنه مفارقًا إياه بعيدًا. وهو لا يســتطيع فهم مراحل ذلك. لا يســتطيع الفهم، ولكنَّه يعرف ذلك بالإحساس، ولهذا فهو يسافر. فمن خلال السفر، يتأكَّد من آلام ومعاناة الجسد.

عندما يصبح الوهن العصبي عنيفًا في النهاية، يتشــنَّج نصف وجه ماســاكي الأيســر قليلًا. ثم بعد ذلك تظهر تدريجيًا عادة اختلاج عنقه التي تكون هادئة في الأوقات العادية. وربما كان ذلك السـبب في أنَّ الكثير من الناس يرون في جمال وجهه جانبًا غريبًا نوعًا ما.

حســنًا، عندما حمل إينيو الطعام، ثنى ماســاكي جســده محاولًا النهوض معتمــدًا على قوته الذاتية. ثم أســند مرفقــه على الأرضية، وعندما رفع جسده قليلًا جدًا، ســقطت رأسه فوق الوسادة مرَّةً أخرى وكأنَّ خيطًــا يتدلى من أعلى قد انقطع فجــأة. وضع الراهب كفَّه على جبهته ليتأكَّد من حالة الحمى.

「علــى ما يبدو لا زالــتَ محمومًا، من الأفضل لــك أن تتناول ولو القليل من الطعام.」

جلس ماساكي أمام أواني الطعام بمساعدة اليد التي مدها إينيو إليه، وعندها هجم عليه دوار خفيف.

「تفضل قبل أن يبرد.」

فــي الأواني حســاء أُرز أبيض وقطع من الفجل المخلَّل. أمســك ماســاكي بعصيان الأكل، وعندما كان على وشــك لمس الطعام، أعاد التفكير وأعاد الصحن إلى مكانه مرَّةً أخرى. وبعد أن تردَّد لحظة أحنى رأسه عميقًا مرَّةً أخرى وقال:

「أنا في غاية الامتنــان لك، فعلاوة على إنقاذك لي، ها أنت تقدم لي الطعام بهذا الشكل ....」

لم يردَّ الراهب على كلامه بل اكتفى بقوله「تفضَّل」. وقتها ولأوَّل مرَّة واجه ماســاكي وجه الراهب العجوز. الوجه ذو اللحم الضئيل يعطي

إحساسًـــا بطبيعة الزهد لديه، علاوة على ذلك، التجاعيد العديدة التي برزت في ضوء الشـــموع، تعطي لذلك الزهد عمقًا أكثر. وربما بسبب حرصه على أن يتناول طعامًا متواضعًا، بدت عليه ملامح الشـــيخوخة الشـــديدة. إلى درجةٍ يمكن القول إنها غير طبيعية. لا لحية له، ويرتدي زيًّا هو عبارة عن قطعة واحدة من الكتَّان المتواضع.

أخفض ماساكي بصره، وحاول الإمســـاك بعصيان الأكل. ثم تردَّد مرَّة ثانية. الراهب الذي كان يشاهد ذلك، ضحك بحنان وقال:

«لا مانع. افعل ما يحلو لك.»

ضحك ماســـاكي أيضًا لذلك، ثم قام بحركة ضم كفّيه إلى بعضهما التي لا يعتادها. ومضغ قطعة من الفجل المخلل محدثًا أثناء أكله صوتًا.

❊ ❊ ❊

«هل تحسُّ بألم؟»

«أجل... بشكلٍ مفاجئ...»

ماســـاكي الذي انتهى مـــن تناول الطعام، ويشـــرب الآن الشـــاي الأخضر، تغيَّر لون وجهه فجأة فوضع الكوب جانبًا.

«هـــذا أمر متوقَّع. على ما رأيتُ، يبدو أنَّ الجرح عميقٌ جدًّا، وإذا لم تأخذ قسطًا من الراحة والعلاج لفترة هنا، فلن يكون سهلًا عليك مجردَ السير على قدميك.»

«الفترة؟ ...كم سيستغرق ذلك؟»

«حســـنًا، لا يمكنني تحديد ذلك، ولكن على أســـوأ الأحوال ربما يستغرق الأمر شهرًا...»

«شهرًا كاملًا؟»

«هل أنت في عجلة من أمرك؟»

□لا، مطلقًــا. في الأصل، هذه رحلة بلا هــدف ولا وجهة... فقط، أخشى إن مكثت طويلًا، أن أسبِّب لك إزعاجًا.□

□... لا مانع لديَّ من ذلك.□

هكذا أجــاب الراهب العجوز. ولكنَّ ماســاكي بشــكل ما أحسَّ تجاه تلك الإجابــة التي جاءت بعد فترة صمت، أنَّه قرأ ما بداخل قلب الراهب، فأضاف قائلا:

□أنا أيضاً لا يوجد ســبب يجعلني أطيل البقاء هنا، وحالما تتحسن صحتي، ســأرحل من الجبل وأعمل على مواصلة رحلتي. لأنَّه يجب عليَّ ألَّا أكون عائقًا لك في ترهبنك وانقطاعك للعبادة.□

صمت الراهب وأومأ برأسه قليلًا علامة على موافقته على كلامه ....

عاد الراهب مــرَّةً أخرى إلى الغرفة بعد أن رفــع أواني الطعام. ثم عرَّف نفسه لماساكي الراقد فوق الفراش قائلا:

□لم أعرف اسمك بعد. اسمي، بعد الترهبن، إينيو□.

تلك الكلمات غيَّرت وجه ماساكي ذو اللون الأبيض المزرق قليلًا، إلى لون أحمر خافت ثم قال في عجلة:

□لقد نســيت... كان يجب عليَّ أنا القيام بتعريف نفســي. اســمي ماساكي إيهارا.□

□السيد ماساكي.□

□نعم. الاســم القديم لزهرة الياســمين. كانت تُســمى □ياســمين ماســاكي□، والدي كان يحب مســرح □النو□ التقليــدي، وقد أخذ ذلك الاسم من مسرحية □زهرة الياسمين□ ل □كونبارو زينتشيكو□[1]. ولكنَّه قال

(1) زينتشيكو كونبارو (1405 □ 1471): كاتب ومؤلف مسرحيات لمسرح النو التقليدي الياباني له عدة كتب ومؤلفات في التنظير للفنون التقليدية اليابانية

إنَّ إضافة كلمة الياسمين سيكون مريعًا.」

「فهمتُ.」

「أنا طالبٌ في جامعة طوكيو، وبجانب ذلك، أكتبُ الشــعر. كلُّ من يعرفني يظنُّ أنَّ 「ماســاكي」 ذلك هو اسم شهرة اتخذته من أجل الكتابة، لا بُدَّ أنَّهم يعتقدون أنني متكبّر للغاية. ولكنه، بالطبع، اسمي الحقيقي.」

「هل تكتب الشعر؟」

「أجل.」

وعندها، صمت ماســاكي الذي رفع نظــره، بعد أن لاحظ اختلاج مُقلة الراهب بين جفونه نصف المفتوحة أسفل الحواجب البيضاء مثل الثلج. وبعد ذلك تعمَّد تغيير مجرى الحديث.

「على أيِّ حــال، أنا لم أكن أعتقد أبدًا أن أجــد معبدًا بوذيًا في هذا العمق من الجبل. خاصة في هذه المنطقة...」

「نعم، ففي هذه المنطقة لا يوجد إلَّا معبد واحد فقط هو هذا المعبد. في الأصل، كان هذا كوخ قديم لحرق الفحم. وهو ليس بالحجم الذي يمكن اعتباره معبداً. وأيضًا هو بلا اسم.」

هكذا أجاب الراهب بهدوء.

في الأصل، الراهب العجوز المسمى 「إينيو」 كان مُعلِّم عبادة التجوّل لمعبد 「غيوكورين」 من فرقة 「كوشــوجي」 في طائفة 「ســوتو」 لديانة الزِن البوذية، والواقع في جبل 「غوســان」 الجنوبي بمنطقة 「أونو أوأزا」 ببلدة 「توتســوكاوا」. منذ حوالي 25 عامًا مضت، كان اســمه 「شوزان」 واسم

بالإضافة إلى أعماله الفنية ومنها مسرحية 「زهرة الياسمين」 التي تستند على أسطورية شعبية يابانية تحكي عن أمير ياباني تموت حبيبته، ومن شدة حبه لها يموت وتبعث روحه من جديد بعد تناسخها في شكل زهرة ياسمين تلتف حول قبر حبيبته.

العائلة التي ينتمي ▯تشــيبا▯. يوجد ســبب جَعَل الراهب المُعلِّم لذلك المعبد المعتبر يعيش في كوخ بعمق الجبل لا يمر عليه أحد.

ساعد في ذلك تقلبات الزمن وتحولات القَدَر.

كان زمن وجود ▯إينيو▯ في معبد ▯غيوكورين▯ في الفترة من نهاية عصر ▯إيــدو▯ إلى بداية عصر ▯ميجي▯، أي العصر الذي واجهت فيه البوذية في بلادنا أزمة غير مسبوقة. وغنيّ عن القول إنَّ سبب ذلك هو حركة إلغاء البوذية وتحطيم تماثيل بوذا التي بدأت شــرارتها بقانون ▯فصل الديانة البوذية عن ديانة الشينتو▯ الذي صدر في العام الرابع من عصر ▯كي يو▯[1].

ولا يوجد وقت لســرد كلِّ الأحداث التي تُظهر عنف تلك الحركة. ولكن على ســبيل المثال، فقــد عُرِضت أبراج معبــد ▯كوفوكوجي▯[2] الخمســة، مع الأبراج الثلاثة، للبيع، وبيعت بخمســة وعشــرين ينًا، ووُضعت لفائــف كتاب ▯تنبيوشــا▯ المقدَّس المنســوخة على أرفف محلات الكتب القديمة للبيع بمبلغ خمســة ينات للنســخة، وسُرقت التماثيل الألفية لبوذا[3] واســتُخدمت كحطبٍ فــي الحمامات العامة،

---

(1) العام الرابع والأخير من عصر ▯كي يو▯ هو نفسه العام الأول من عصر ميجي أي عام 1868م. فعادة ما يُسمى العام المشترك لعصرين باسم العصرين، العام الأخير للعصر المنتهي والعام الأول في العصر الجديد.

(2) معبد كوفوكوجي: معبد بوذي في مدينة نارا وضعت أساسه أوكيمي كاغامي عام 669م تقربا لبوذا من أجل التعجيل بشفاء زوجها كاماتاري فوجيوارا (614 ▯ 669) وأكمله ابنه فوهيتو فوجيوارا (659 ▯ 720) الذي كان أول من دُفن في مقبرة المعبد. تم نقل المعبد أكثر من مرة ليستقر في موقعه الحالي في مدينة نارا منذ عام 710م. وكان للمعبد مكانة سياسية كبيرة في تاريخ اليابان ودُمر أكثر من مرة بسبب الصراعات السياسية ثم أعيد بناؤه مع اختلافات كثيرة عن شكله القديم.

(3) التماثيل الألفية لبوذا: هي تماثيل صغيرة لبوذا من الخشب يتراوح طولها في الأغلب بين الأربعين والخمسين سنتيمتر ولكن يوجد نوع منها يبلغ طولها متر كامل، يُعتقد أنها صُنعت في عصر هييآن (794 ▯ 1185). لا يعرف عددها على

وهذا مجرَّد جزء بسـيط مما حدث. ولم يكن من النادر وقوع أحداث عنفٍ مثل حرق المعابد والأديرة البوذية وتحطيم تماثيل بوذا المقدَّسة.

ولكننا لو نظرنا إلى البلاد ككل فلن نجد بلدة اسـتطاعت أن تقضي على الديانـة البوذية قضاء تامًا حتى النخاع مثلمـا حدث هنا في بلدة «توتسـوكاوا». ولكن لا يجب اعتبار ذلك أمرًا عجيبًا على الإطلاق. إذا فكرنا في تاريخ تلك المنطقة، لرأيناه على العكس، فوجود عدد كبير من المعابد البوذية التي تنتمي للطوائف البوذية المختلفة بداية من طائفتي «سوتو ورينزاي» وصولًا إلى طائفتي «التنداي» و «الشينغون» وغيرهم في الماضي، لهو الأمر الذي يثير الدهشة أكثر بكثير.

بـدأت حركة القضاء علـى البوذية في قرية «توتسـوكاوا» في العام الأول من عصر «ميجي»[1] بعد الموافقة على طلب من أهل القرية بإعادة إعمـار جبل «تاماكـي». كان أهالي القرية قد أُبعـدوا بالفعل عن جبل تاماكي الذي كان خاضعًا وقتها لسـيطرة معبد «شـوغوئين»، من خلال اسـتبداد دير «تاكاموروئين» التابع للمعبد. أهل القرية الذين قُبل طلبهم قاموا على الفور بعملية إلغاء البوذية وتحطيم تماثيل بوذا، وأزالوا تمامًا كلَّ شكلٍ من أشـكال البوذية هنا، علاوة على ذلك، في العام السادس من عصرٍ ميجي[2] تمَّ القضاء تمامًا علـى كلِّ المعابد البوذية في القرية والتي كان عددها يبلغ 51 معبدًا. معبد «تاماكي» البوذي القريب من نهر «أونوكاوا» كان واحدًا منها.

وجه الدقة ولكن أشهرها ما يُعرف باسم تماثيل معبد كوفوكوجي الألفية لبوذا الوارد ذكرها هنا.

(1) العام الأول من عصر ميجي هو نفسه العام الرابع والأخير من عصر «كي يو» أي عام 1868م.

(2) عام 1873م

عندما بلغ الحال ذلك المبلــغ، كان عددٌ كبيرٌ من الرهبان قد عادوا لحياتهم المدنية العادية. وكذلك كانت هناك عروض لاستضافتهم من خــارج المنطقة. ولكن إينيو الذي كان قد تســلَّم رخصة الرهبنة لتوه، وكأمر طبيعي، رفض كلِّ تلك العروض. ثم ترك المعبد وغادر من دون أن يبلغ عن مقصده، وذهب وحيدًا في رحلة حَجّ مستغنيًا عن الدنيا.

.... تُعرف تفاصيل الأحداث التي حدثت حتى تلك اللحظة. ولكن لا يُعــرف ماذا حدث لإينيو بعد ذلك، ولم يمكن التعرّف على مصيره. أحد أســباب ذلك أنَّه اســتمر في رحلة الحج بملابس لا تختلف في كثير أو قليل عن ملابس الشــحاذين العاديين. سبب آخر، أنَّ حكايات العامَّة الســاخرة من رهبان ذلك العصر، لم تتضمَّن اقتفاء أثره. ولكن بعد مرور سنتين من ذلك التاريخ، عاد إينيو مرَّةً أخرى وحيدًا إلى قرية "توتسوكاوا". ثم وفي نُزُلٍ للعيون الساخنة تصادف أن أقام فيه، حدث له ما جعله يصل فجأة إلى الحقيقة الكبرى والاستنارة العظيمة، فعرف أنَّ حدود ما كان يظنُّ، حتى ذلك الوقت، أنَّه إشــراقة واستنارة لا يزيد عن كونه في النهاية حدود الأرْهات[1]. كان ذلك منذ 22 عامًا، أي عندما كان في سن الثامنة والثلاثين. فقام إينيو على الفور بحرق رخصة الرهبنة مع حطب فرن الطبخ. ثمَّ، وبفضل ذلــك، أنهى رحلة الحج، وبنى كوخه هذا للتعبُّد في أعماق جبل "أوسن داكه".

في هــذه الحكاية نقطة غامضة قليلا؛ فعندما قرَّر إينيو الســكن في أطلال كوخ حرق الفحم في وســط الجبل، قــام عدد من الأهالي ببناء

(1) الأرهات: هي درجة من الدرجات التي يصل إليها الراهب البوذي أثناء تدريبه الروحي في طريق وصوله إلى الحقيقة الكبرى أو الاستنارة والإشراق. أصل الكلمة في اللغة السنسكريتية تعني عظيم أو ذو قيمة هائلة.

قاعة صلاة للزن بجوار الكـــوخ، وإن كانت متواضعة. وكونهم جميعًا كانـــوا من الذين اشـــتركوا في حركـــة القضاء على البوذيـــة وتحطيم معابدها وتماثيلها، فهذا فعلٌ في غاية العجب. وكذلك، إينيو لم يرفض مساعدتهم تلك. المكان الذي ينام فيه ماساكي حاليًا هو ذلك الكوخ، الذي بُني على أطلال كوخ حـــرق الفحم. والمكان التي يأتي منه إينيو ويذهب إليه هو قاعة صلاة الزن التي بُنيت وقتها.

بالطـبع، لم يكن ماسـاكي يعرف أيَّ شيءٍ عن تلك التفاصيل. ولكن فقـط كـان لديـه حـدس بطبيـعة منطقـة قريـــة "توتســوكـاوا" لمعرفتـه بعلاقتها بالأمير "موريبوشـــي"[1] والقائد "ماساكاتســـو كوسونوكي"[2].

---

(1) الأمير موريبوشي (1308 – 1335): ابن الإمبراطور "غودايغو" الذي جلس على العرش من عام 1319 إلى عام 1339. شارك في حروب والده ضد محاربي الساموراي من حكومة كاماكورا العسكرية بهدف إنهاء سيطرة الحكومة العسكرية على البلاد. وحقق جيش الإمبراطور انتصارات متتالية في معارك توتسوكاوا ويوشينو وجبل كويا، ونجح في القضاء على حكومة كاماكورا العسكرية في عام1333م، بعد تمرد قائد جيوش الحاكم العسكري "تاكا أوجي أشيكاغا" وانضمامه للإمبراطور، ولكن تعيين الإمبراطور لابنه الأمير موريبوشي حاكما عسكريا بعد سقوط حكومة كاماكورا، جعل أشيكاغا يحقد عليه ويدبر له تهمة محاولة الانقلاب على عرش والده وأرسله ليسجن في كاماكورا تحت رعاية أخو أشيكاغا الذي يقتله مخافة انضمامه إلى بقايا جيش حكومة كاماكورا. وبعد موت موريبوشي أسس تاكا أوجي أشيكاغا في عام 1336م حكومة عسكرية وبدأ عصر جديد باسم موروماتشي، ليبدأ عصر انقسام اليابان إلى إمبراطورتين متصارعتين شمالية وجنوبية لكل منهما إمبراطور وحاكم عسكري، ثم تتسع رقعة الحرب الأهلية بين عدة أقاليم وتستمر لأكثر من قرنين، إلى أن يستطيع القائد العسكري توكوغاوا توحيد اليابان تحت حكمه ويبدأ عصر إيدو في عام 1603م.

(2) ماساكاتسو كوسونوكي: غير معروف بالتحديد تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته ولكن المؤكد أنه أحد رجال عائلة كوسونوكي الذين كانوا من المحاربين الساموراي المدافعين عن الإمبراطور في عصر الحرب الأهلية بين الحكومة العسكرية من الساموراي والجيش الإمبراطوري في نهاية القرن الرابع عشر

حقيقة، أغلب أهالي القرية يدينون بديانة «الشِنتو».

بعد مرور بعض الوقت قال الراهب إينيو:

«لنكمل حديثنا في يوم آخر. فأنت يا سيِّد ماساكي لا زلت في طور النقاهة، وأعتقد أنَّه يجب عليك الاعتناء بصحتك.»

أومأ ماساكي برأسه إيماءة صغيرة وكأنَّه يخجل من ثرثرة لسانه.

وعندما وجَّه ماساكي نظره تلقائيًا إلى ما خلف الراهب، كان الظلُّ الذي صنعته أشعة ضوء المصباح يتأرجح مهتزًا في غموض على واجهة الحائط.

«حسنا سأنصرف الآن، أرجو أن تأخذ قسطًا جيدًا من الراحة.»

هبط إينيو درجة إلى الأرض وفتح الباب بهدوء.

ازداد لهب الشمع الذي التوى مع هبوب نسماتٍ من فتحة الباب، اشتعل للحظة، ثم انطفأ فجأة وكأنَّ شخص ما قد أحاطه بقبضة يده.

احتضن الظلام ماساكي. وتسرَّبت منه بلا وعي تنهيدة أسى عندما لمس بأصابعه النحيفة المرتعشة قليلًا، حواف ذقنه التي زاد من حدتها تناقص شحمها.

مرَّ بأصبع البنصر فوق شفتيه الجافتين، مثل امرأة تضع أحمر الشفاه. ثم لمس طرف اللسان قليلًا.

***

وبداية القرن الخامس عشر. وعندما انقسمت اليابان إلى إمبراطوريتين كان ماساكاتسو من المدافعين عن الإمبراطورية الجنوبية. وظل حتى مماته يحارب عائلة أشيكاغا التي أسست دولة حكومة موروماتشي العسكرية. يوجد العديد من الأساطير الشعبية التي تحكي سيرة ماساكاتسو خصيصا بين كل محاربي عائلة كوسونوكي. وتوجد مقبرة تُنسب له في قرية توتسوكاوا محل أحداث الرواية.

بعد مرور حوالي ثلاثة أيام، أصبح ماســاكي بشــكل أو بآخر قادراً على الوقوف بمفرده من دون الاستعانة بمساعدة إينيو.

كان تعافيه من المرض ســريعًا. القدم حتــى الآن بها بعض الخدر القليل، ولكن فتحة الجرح لم تتقيَّح، ويستطيع السير متكئًا على عكَّازة.

بجوار الكوخ الذي ينام فيه ماساكي، يوجد المرحاض وقاعة صلاة الــزن، متراصَّين باتجاه الغــرب وكأنهما صندوقيــن مكعبين، الجبل منحوت بانحدار شــديد، وأمام المباني توجد حديقة بمساحة حوالي عشــرة أمتار مربعة. لا يُرى اتجاه البساطة والرقي المعروف في معابد الزن. بل إنَّ أزهــارًا مثل ورود «رودوندرون» وزهور الســحلبية تزهر متناثرة بأشكالٍ وألوانٍ عديدة، مما يجعل المكان، مزعجًا بصريًا، على عكس المعتاد.

توجد حقول مزروعــة بنباتات الفجل والشــاي، محاطة بالأزهار والورود. وبجانبها أحواض أرزّ مقسَّــمة لقطــع صغيرة. لا يبدو على الأزهار ولا النباتات أنَّ يد العناية تمتد إليها، ولكنَّها جميعًا كانت ذات حيوية، وتنبت مغطية الأرض من دون فراغات، بل وكانت سرعة نموها تزداد يومًا بعد يوم.

كان ماساكي لا يســتطيع قراءة الكتب، حتى لو بلغ به الملل مداه، لضبابية بسيطة في الرؤية أصابت عينيه، ربما بسبب بقاء جزء من السم داخل جسده. ولذا كانت متعته الوحيدة في الأيام الماضية هي أن يخرج في وقت الغروب إلى تلك الحديقة، ويستنشق هواء المساء المنعش.

اليوم أيضًا خرج من غرفته مبكرًا قليلًا عن المعتاد. وذلك لأنَّه كان مهمومًا بحديث دار بينه وبين إينيو في الليلة السابقة.

في اليوم السابق، استخدم ماساكي الماء الذي أحضره إينيو وبلل به منشفة ثم أزال بها الأوساخ التي تراكمت على جسده بعدما انقطع مدَّة عن فعل ذلك. كما سمع منه، يذهب إينيو لجلب الماء الذي يستخدمه في إعداد الطعام وكذلك الماء الذي يستخدمه في الاغتسال، من ينبوع ماء قريبٍ من المكان. حتى ذلك الحين، كان ماســاكي يعتقد أنَّ منبع الماء هذا عبارة عن شــلَّال. وذلك لأنَّه يسمع في الليل صوتًا واضحًا لماءٍ يجري، رغم أنَّ الصوت لا يُلفت الانتباه نهارًا.

الصــوت كان قريبًا لكونه نهرًا كبيرًا أكثر من كونه شــلالًا. وكانت تُسمع كذلك أصوات طائر الرفراف الخافتة مختلطة مع صوت جريان الماء. ولكنه قال في نفسه يستحيل وجود نهر كبير هنا في هذه البقعة من أعالي الجبل. ولذلك اعتقد أنَّه شلَّال.

توجَّه ماساكي نحو إينيو الذي كان يعيد إناء الماء إلى مكانه، وطلب أن يصحبه معه إلى هناك عندما يتحسَّن قليلًا.

«أعتقد أنَّني سأشعر بالانتعاش والحيوية إذا اغتسلت هناك بعد فترة انقطاع عن الاستحمام.»

على أيِّ حال، أجاب إينيو على ذلك بإيماءة من رأســه. ولكنَّه قال إنَّه من المستحيل فعل ذلك إلَّا بعد مرور فترة طويلة لأنَّ الطريق وعرة. ولكن ماساكي واصل كلامه مضيفًا وهو لم ييأس بعد بشكل كامل:

«ولكن المكان ليس بهذا البعد، أليس كذلك؟ هل هو شلَّال ضخم؟»

إزاء ذلك بدت ملامح الدهشة والعجب على وجه إينيو وأجاب:

«إنه ليس شــلَّالًا. بل هو ينبــوعٌ صغير، قطره حوالــي عودين من الخيزران»

اندهش ماساكي لذلك بشــدَّة، وكان على وشك أن يسأل إينيو عن

ذلك الصوت الذي يصل إلــى أذنه الآن. ولكن عندها اختفى الصوت وأصبح لا يسمعه.

لذلك، كان ماساكي يخرج إلى الحديقة في النهارفي أوقات متفرَّقة. وعندمــا يجلس ويصيخ الســمع وكأنَّــه يحاول مدَّ أذنيــه إلى أعماق الغابة. كان الجبــل هادئًا في ذلك اليوم أيضًــا، وكانت الرياح تحمل إليه الأصوات كلَّها دون أن تغفــل صوتًا واحدًا، تحمل صوت الطيور وحتى صوت حفيف أوراق الشــجر وأفرعها الصغيرة. ولكن لم يصل إلى ســمعه صوت الماء. فكَّر ماساكي أنَّ ذلك كان خيالًا من خيالاته. ثم نسي فكرته سريعًا، بسبب روعة النسيم الذي يهب من بين الأشجار، وأصبح فقط يدور بنظره في المشهد المترامي أمامه.

يملك ماساكي إحساسًا ربانيًا سحريًا من نوع ما تجاه نسائم الطبيعة. كان ذلك إحساسًــا رومانســيًا حقيقيًا لا يمتلكه بحــق واحدٌ من بين الرومانسيين في عالمه، إلَّا هو كطبيعة فيه.

يؤمن ماســاكي أنَّ أيَّ كلمــة مهما كانت، تصبح بــلا أي تأثير في اللحظة التي تصل فيها الطبيعة إلى الجمال الأكثر عمقًا وتمنُّعًا. ويؤمن بقوَّةٍ أنَّ الشــعر لا يُولد أبدًا في تلك اللحظة. وهذا، على سبيل المثال، ليس بسبب أنَّ النشوة تبتلع الكلمات المنطقية صعبة الانصياع، وتسلب ملكة التفكير. بل يعتقد ماساكي أنه في أثناء الوصول إلى تلك اللحظة، يتوحَّد الشخص المدرِك بشــكل درامي مع الطبيعة المُدرَكة، ويصبح من المحال الإدراك في حد ذاته. لأنَّ النفس، التي عليها البيان، تتوحَّد بشكل لا يمكن فصله مطلقًا عن الشيء المطلوب تبيانه.

لدى ماســاكي جرح غائر وكبير كشــاعر. وهو أنــه، كطبيعة فيه،

ينقصه الجهد المطلوب للخروج من هذه الحالة، ومن ثَمَّ تضمينها في كلمات. وهذا النقص ليس بسـبب التكاسـل. بل على العكس، فتلك التجربة الروحانية ذاتها هي طلب ماساكي ومبتغاه الحقيقي.

عندما تعرَّف ماسـاكي على الفكر الليبرالي الغربي، تخلَّص لأوَّل مرَّة من أخلاق النظام الأبوي للكونفوشيوسية، وترك الأفكار الطوباوية البوذية، وشعر أنه اكتشـف لأول مرَّة طريق الحياة كفرد مستقل بذاته. ولقد كانت مفاجأة سـارة لـه، فبعد أن فكَّ غزل الخيـط ذي اللونين، المجتمع والطبيعة، اللذين نسـجا شخصيته، اكتشف وجود ذاته متبقية مثل حبَّة الخرز. ولقد رأى أنَّ ذلك عبارة عن عالم يمتلك قيمة واحدة بشـكل خالص. كان يفكر في الغد الذي يتكوَّن فيه حماسه كجزء من ذاته.

ولكنَّه أصبح يعاني تدريجيًا من آلام ذاته.

في الأصل، ماسـاكي لا يفهم ما هو ذلك الشيء. يوجد لديه وعي بوجود شـيء ما. وهو بذاته الذي اكتشف ذلك الشيء. ثم كانت 〚ذاته〛 تلك هي التي لا تفهم حتى ماهية ذلك الشيء.

إذا كان الأمر كذلك، هل تكون ذاته قد اكتشـفت ذاته؟ وعندها هل يعني هذا أنَّه يحمل ذاتين مختلفتين علـى الدوام؟ هو لا يعرف إجابة عن ذلك السـؤال. ولا يعرف إن كانتا ذاتـان مختلفتان، أم أنهما ذات واحدة؟ هل يوجد احتمال لأن يكونا مختلفتين؟ في الأساس، لا يوجد إلَّا إنسان واحد يُسمى ماساكي إيهارا، إذن يجب أن يصبحا ذاتًا واحدة. هل رغم وجود ذاتين، إلَّا أنهما الشيء نفسه؟ حسنًا، عقد العزم وجرَّب أن يفكر أنهما ذات واحـدة. ثم جرَّب أن يفكر أنَّ تلك الذات الواحدة

هي ذاته الحقيقية. حسنًا لقد فهم بذلك الأمر جيدًا. ولكن بالمناسبة ما هي ذاته تلك؟ ...

قاد هذا التفكير ماساكي فجأة إلى صراع النظرية الثنائية على الطريقة الغربية. توجد ضرورة لقفزة لا نهائية من أجل أن يتحوَّل شيء واحد إلى شيئين. ولكن كي يتحوَّل شيئين إلى ثلاثة، وثلاثة أشياء إلى أربعة، لا يحتاج الأمر إلَّا مجرَّد فقط دفعة بسيطة من القدم، تمامًا مثل المشي. تخطى ماساكي الحاجز الأول وهو تقريبًا لا يدري. ثم عندما انتبه وجد الكون من أقصاه إلى أقصاه قد تحوَّل إلى قطع متناثرة، وكأنها قطع الدومينو المتساقطة بالتتابع.

وأصبح ماساكي يعاني من دون معرفة سبب المعاناة، مثل الذي أصيب أثناء سفره بوباء مُعْدي لا يُعرف كنهه. وبهذا الشكل رمى ماساكي بذاته التي حصل عليها لمرة، ولم يستطع أن يستشعر ذاته الحيَّة مرَّة ثانية كظاهرة داخل الطبيعة. قبل أيِّ شيءٍ كان السبب هو عدم سماح الحماس بذلك. ولهذا السبب، كان مع امتلاكه لما يسمى ذاته دائمًا وفي كلِّ مكان، أصبح يتمنى التوحد والتكامل التام مع وجود ما طاغٍ متعالٍ لا تستطيع الثنائية فصله. في النهاية، الذات، كذات، لها وجود واحد. هذا الوجود يحتفظ بكامل حجمه كما هو من دون أيِّ ذرَّة نقص، في الوقت نفسه، أصبح الآن وكأنَّه يرغب في وجود واحد، وتوحد واحد، وكأنَّ ذلك يحلُّ كلَّ التناقضات الموجودة بالفعل.

ثم يصبح هذا الوجود المطلق بالذات، بالنسبة لماساكي، هو جمال الطبيعة ذو السحر العميق.

بالطبع، لم ينشأ إحساس ماساكي هذا على أفكار تجريدية تخمينية.

إذا شئنا القول، فقد اكتشفت الأفكار التجريدية بوابة خروجها في ذلك الإحساس الطبيعي.

أســـند ماساكي ظهره إلى جدار الكوخ، وأثناء تأمله الجبال البعيدة، ظلَّ يفكر منذ قليل في حياة الأعمى.

كل البشـــر يعيشـــون، في العادة، وهم يتوقعون ما سيحدث اعتمادًا على حاسَّـــة البصر. مثلًا، عند الســـير في الطريق، لو اســـتطعت رؤية الطريق على بعد مئة خطوة من موضعك، يمكن القول إن لديك بالفعل توقَّع عن العالم المقبل عليك. وقتها يستطيع الإنسان تخيُّل وجوده في ذلك المكان المتوقَّع. ويستطيع بعد عدة ثوانٍ، أو عدة دقائق التأكُّد من وجوده في العالم الذي تخيَّله. يســـتطيع من خلال الحَدَس عمل تبادل بين وجوده المســـتمر والعالم المستمر. ويتسبب ذلك التوقُّع في تآكُل العلاقة بين العالم والإنسان على الدوام. أي أن التوقُّع يستعبد اللحظة.

ولكنَّ عالم الأعمى لا يوجد إلَّا بين يديه. لا يُعطَى أيّ توقُّعٍ للعالم. العالم يعلن عن وجوده لأول مرَّة في ذات اللحظة التي يلمسه الأعمى فيهـــا. في تلك اللحظة فقـــط، ثم فجأة يختفي مـــن الوجود. لا وجود للجبال البعيدة نهائيًا. ما يجعل لها وجودًا، هو فقط الوصول إليها وبدء المشـــي عليها بالفعل. ثم وقتها يتواجد لأوَّل مرَّة الأعمى ذاته مرتبطًا بعلاقة جديدة مع الجبل الذي أصبح له وجود.

لا يمكن اختراق المستقبل على الإطلاق. من المفترض أنَّ اختلاط العالم مع الإنسان في تلك اللحظة أمر محتوم.

إنَّه اختلاط بالغ الصفاء بين الإنسان والعالم المتجدد في كلِّ لحظة، تحت توترٍ ما حازم وصارم. يا لها من دهشة. يا لها من سعادة.

.... ماســاكي الآن، وإحساسه هذا يشغل جســده بالكامل، وبقوَّةٍ جبَّارة لا يمكن وصفها، قوَّة مخبَّأة في مناظر الأرض تلك، كان يحسد مثل تلــك اللحظة. اللحظــة المطلقة الواحدة التي ليس لها مســتقبل متوقع. اللحظة التي يتم الوصول إليها بواســطة الجسد فقط، بواسطة الفعل فقط. يحســد تلك اللحظة وهو يشــعر بتوقُّعٍ سرِّيٍ وخاص، أنَّ تلك اللحظة في النهاية هي بحق، لا بل تلك هي اللحظة الوحيدة، التي ينال فيها التوحّد الكامل والحقيقي مع الطبيعة.

***

مساء اليوم السادس منذ أن رجع الوعي إلى ماساكي في الكوخ.

خرج ماســاكي كما هــي عادته إلــى حديقة المعبــد، وهو يعبث بحصــوات صغيرة في راحة يده كان قد التقطها صدفة، وهو ينظر تجاه الغابة. اليوم أيضًا لا حيلة لديه يتغلب بها على الملل، أخذ كتابًا في يده ثم رماه على الفور بجانبه، وفمه لا يُخرج إلَّا تنهدات فقط.

بعد مرور فترة من جلوســه، حادثه إينيو الذي خرج من قاعة صلاة الزِن.

«كيف حال قدمك الآن؟»

كان صوته هادئًا.

«بفضلك أيها الراهب المبجَّــل، أصبحت أفضل بكثير... رغم بقاء بعض الألم، ولكن إذا كان بهذه الدرجة فأعتقد أنَّه سيزول قريبًا جدًا.»

ردَّ ماساكي بوضوح تام.

ابتسامة ماســاكي لم تكن بسبب تعافي جروحه فقط. فبمرور الأيام ومع اســتطاعته القيام بنفســه بكل شــؤون حياته اليومية حتى التافهة

منها، قلَّت، بالطبع، فرص تبادل الحديث مــع إينيو تدريجيًا. وهذا ما كان ماســاكي نفسه يرى أنَّه أمر لا حيلة فيه. ولأنَّ إينيو عندما يقابله في الحديقــة أو يصادف أن يمر بجانبه عند الذهاب للمرحاض، كان دائمًا لا يعيره اهتماما، ما جعل ماساكي يشكُّ في أنَّه يتفاداه متعمدًا، وأحيانًا كان يفكر إن كانت كلماته مع الراهب قليلة الاحترام، وكان يعاني نفسيًا بسبب ذلك.

«لو كان الأمر كذلك، فهذا أمر جيد جدا».

جلس إينيو بجوار ماساكي وهو يردّ عليه بهذه الكلمات.

كان شــفق الغروب يحرق الســماء جاعلًا لونها زاهيًا. وتُسمع من وقــت لآخر أصوات طائر الوقواق آتية من عمق الجبال التي اصطبغت باللون الأحمر، وأصبحت وكأنها قد اســتقبلت موسم الخريف حيث تتباين ألوان أشجارها.

قال ماساكي وهو ينظر إلى الأمام بثبات:

«في هذه الجبال يُســمع صياح الوقواق بكثــرة، أليس كذلك؟ ... آه، لقد صاح الآن مرَّةً أخــرى... بالإضافة إلى ذلك، رغم أنَّ الكروان وغيــره من الطيور، تأتي جميعها إلى هنا في وقت الغروب للبحث عن الطعام، ولكنَّ الوقواق فقط هو الوحيد الذي يصيح من بعيد، وهو أمر غريب... عندما أســمع ذلك الصوت، أشعر أنني أتفهَّم بشكل ما لماذا أطلق القدماء عليه اسم سيد جبل الموت. لا أعرف بالضبط ما هو ذلك الشعور، ولكن فقط أتفهّم ذلك بشكل ما.»

لم يردّ إينيو، ولكنــه ظلَّ ينظر إلى غروب الشــمس صامتًا. وُضع صمتٌ ما بعشوائية بين الاثنين.

نظر ماساكي بغير افتعال إلى ملامح وجه الراهب. كان وجهه مثلما كان في تلك الليلة، وجه شــخص في منتهى الهدوء لا يلوِّثه الغبار، بل ومجرد وجود مقدار ضئيل من الرحمة يجعله يمتلأ بها، هو وجه فارقَ الحيرة ووصل إلى الاســتنارة بشكل مؤكد. انعدمت بينهما الكلمات. الصمت وكأنَّه فراغ **رُســم** بالفحم على لوحة بيضــاء، هو عدم، وفي الوقت نفســه لا توجد فيه فجوات. وكان ذلك وكأنَّه يعبِّر عما بداخل قلب ذلك الراهب كما هو.

حياة العيش الداخلية. هل تُرى يوجد بالفعل شيء كهذا؟

في كلِّ مرَّة يجلس فيها وجهًا لوجه أمام إينيو، تجتاح تلك الشكوك ذهن ماســاكي. في حياته العادية اعتاد ماساكي على عدم الثقة بسهولة في ما يظهر على السطح الخارجي للبشر. وكان سبب ذلك، أنَّ أفكاره تجاه أمور مثل التفاخر أو التظاهر التي كانت تعتبر في العهود الســالفة ﴿**عــادات حميدة**﴾، ارتبطت بعدم الثقة بالنــاس منذ عصر الانفتاح على العالم، وتحوَّلت، بشــكل عجيب، إلى شيء مظلم متجذِّر داخل قلبه. من أجل التعامل مع البشــر، كان عليه دائمًــا أن يوجِّه وعيه لأعماقهم الداخليــة، ومعرفة ما هو مخبَّأ فيها. ثم، يجــب أن يقوم بفكِّ الخيوط المعقدة المرتبطة بالمشاعر خيطًا خيطًا بحرص وعناية كبيرة. ثم أخيرًا يستطيع بعد كلِّ ذلك أن يثق بهم.

ولكنَّ ماساكي لم يكن يشعر بصعوبة كبيرة تجاه ذلك. فعلى الرغم من أنَّ الأمر معقَّدٌ ومتشــابكٌ بدرجةٍ شديدة، وإنما في النهاية لا يوجد خيط لا يمكن فك عقدته. لكن الآن وماســاكي جالــسٌ أمام إينيو، لا تسير تلك الجهود المعتادة التي يبذلها بشكل جيد. وعي ماساكي الذي يوجِّهه إلى داخل الراهب، على الــدوام لا يتعمَّق كثيرًا، وعندما ينتبه،

يجده منزوعًا ومطرودًا للخارج مرَّةً أخرى.

بعد ذلك لا يبقى إلَّا الصمت الأصلي. إذا كان الأمر كذلك، وسألنا هل يســتطيع الإيمان بذلك الصمت؟ يكــون الجواب كلَّا، إنَّه لا يزال يحس بالقلق. ويرتاب، هل يمكن الوثوق فيه أم لا. ولهذا السبب يواجه ماساكي صمت الراهب وهو لا يملك أيَّة حيلة أو وسيلة للتعامل معه، ويبدو وكأنَّه يجتهد في بذل الجهــد لفكِّ خيط واحد لا يتعقَّد، أو هو، في الأصل، خيط وهمي غير موجود مطلقًا.

بعد برهة، ولَّى إينيو وجهه تجاه ماساكي ودفع بنفسه الصمت بعيدًا وقال:

「يوجد أمر ينبغي أن أخبرك به يا سيد ماساكي.」

「ما هو يا ترى؟」

أجاب ماساكي وقد اعتدل في جلسته.

「صحَّتك الآن أصبحت أفضل كثيرًا، وســتقوم مــن الآن فصاعدًا بالتحــرُّك والتجوُّل أكثر مــن ذي قبل، لا مانع لديَّ أبدًا من أن تســير وتتحرَّك في أيِّ مــكان داخل هذا المعبد. ولكن أرجو منك ألاَّ تقترب من الكوخ الذي يوجد في الجهة الأخرى المقابلة لقاعة صلاة الزِن.」

「الكوخ المقابــل لقاعة صلاة الــزن؟ وهل يوجــد مبنى في ذلك المكان؟」

「نعم. هل ســتحافظ على هذا الوعد؟ إذا لم تحافظ عليه، ســينبغي عليك الرحيل من هنا. أرجو أن أسمع ردَّك على ذلك.」

「.... نعم، بالطبع.」

أجاب ماساكي بملامح وجه في غاية الارتياب.

「إذا كنت أيها الراهب المبجل تطلب ذلك، بالطبع ســأحافظ على

ذلك الوعد...
هل أنت متأكِّد من ذلك؟
بالتأكيد... ولكن لماذا؟ ... هل يمكنك أن تخبرني عن السبب؟
بدا إينيو للحظة بسيطة ملامحًا غارقة في التفكير. ثم تحدَّث بعد ذلك ببطء.
.... المنطق يقول إنه إذا احتفظتُ بالأمر سرًا، سيزيد ذلك من رغبتك في التلصُّص. لن أخفي عليك شيئًا. في الواقع، إنَّ من يسكن في هذا المعبد ليس أنا وحدي فقط... توجد سيدة عجوز تسكن في ذلك الكوخ.
سيدة عجوز؟
نعم.
ماذا تفعل بمفردها في هذا المكان؟
إنها مريضة بالجُذام.
....
رغم تقدمها في العمر، إلَّا أنَّها ما زالت امرأة، ولذا فهي تكره أن تعرض تلك الحالة المزرية من الدمامة التي تحولت إليها على الغرباء. لو لديك قلب رحيم، أرجوك ألاَّ تحاول التلصص عليها ولو على سبيل المزاح.
تبدّل لون وجه ماساكي.
.... هل كان الأمر كذلك؟ .... بالطبع، سأحافظ على الوعد. لأنني لست عديم الرحمة بارد الدم إلى هذه الدرجة.
إذا حافظت على ذلك الوعد فقط، فأنت حرٌّ في ما عدا ذلك. وأعتقد أنك يجب أن تحرِّك جسمك قليلًا من أجل الإسراع من درجة

تعافيك.

بعد أن قال إينيو ذلك رفع عنقه من دون أن تنفكَّ أسارير وجهه.

أخيرًا غربت الشمس، وكانت أطراف الجبال توشك على الغرق في بحر الظلام بهدوء. وظلالها تلك كانت أكثر ظلامًا من الليل نفسه. وما زالت أصوات صياح الوقواق ترتفع بإلحاح من مكان ما عميق في قاع ذلك الظلام.

فقط تخاف الموت مع سماع هذه الأصوات منفردة؟ ....

بعد وقت ليس بالطويل، غادر إينيــو بصمت إلى قاعة صلاة الزِن. أثناء متابعته لظهر الراهب بعينيه، اســتطاع ماســاكي الإحساس للمرَّة الأولى بالتأكُّد من مشــاعر الاحترام التي يكنُّها تجاه الراهب إينيو، بعد أن كانت حتى ذلك الوقت مشاعر مبهمة.

أصبح تفسير صمت الراهب إينيو الآن أكثر صعوبة. ولكن التفكير فيه بعد ربطه بأمر المرأة العجوز، جعل ماســاكي يشعر ببعض العزاء. فــإذا كان الراهب إينيو يقوم في هذا الجبل المنعزل بالحفاظ على تلك العجــوز وحيدة في انتظار الموت، ثــم إذا كان يخاف أن تخرق أقدام ماساكي التي على وشك الشفاء ذلك، لأصبح الأمر مفهومًا...

وجَّه ماساكي نظره ببطء ناحية حافة قاعة صلاة الزِن.

هو لا يســتطيع الآن رؤية كوخ العجوز. ولكــن الكوخ يبدو وكأنَّه مخنوقًا في قبضة قوَّة ما مشــؤومة لا يُعرف كنهها، تجعل الظلام حوله فقط أكثر ظلمة من غيره.

وكأنَّ حيوية روح الجبل الحيَّة استهدفت ذلك الكوخ وتسرَّبت منه، مثلما تبتلع النجمة الميِّتة أشعتها.

«فقط تخاف الموت، منفردة، ....»

أزالت دفعة من نسـمات الرياح الخفيفة آثار أقدام ماسـاكي الذي نهض متكئًا على عكَّازته.

الظلُّ يسقط باهتًا على الأرض. قادته نظراته إلى سماء الشرق خلفه، يتـلألأ القمر النصفي غير المكتمـل، وكأنَّ قبضة من تجمُّع الثلوج قد ذابت، واندمجت في ضباب السحاب.

***

بعد مرور ثلاثة أيام على ذلك الحديث.

وضع ماساكي الذي كان يقف في الحديقة في الصباح الباكر، راحة يده على جبهته الشاحبة اللون، وأمال رقبته في شيء من الاكتئاب.

«.... مرَّةً أخرى؟»

تفوح في المكان حالةٌ وكأنَّ أمواج البحر الصغيرة التي تأتي في غير موسمها قد اشتبكت مع أشجار الحديقة، مثل الطحالب. ماساكي وهو يتأمَّل ذلك المشـهد من بين أصابعه التي انحرفت فوق محجر العين، تذكَّر غرابة حلم لا ينتهي.

ذلك الحلم نفسه شاهده ماساكي أكثر من مرة، وعلى الأرجح، منذ أن أتى إلى هنا وهو يحلم به كلَّ ليلة دون انقطاع ولو لليلة واحدة.

انتبه لذلك ليلة أمس.

فلقد شـاهد مرَّةً أخرى حلمًا مشابهًا تمامًا للحلم الذي شاهده ليل أمس الأول ولكنَّه كان أكثر وضوحًا. وعندما فكَّر أنَّه أمرٌ عجيب، تذكَّر بشـكلٍ ضبابي مبهم أنَّه في اليوم السـابق له أيضًا شاهد الحلم نفسه. عندها تتابعت الذاكـرة عائدة إلى اليوم الذي قبلـه واليوم الذي قبله،

وتدريجيًا، تذكَّر بشكل ضئيل أنَّه يشــاهد الحلم نفسه تقريبًا يوميًا وإن كان قد أصبح يتباعد متقطعًا إلى قطع صغيرة.

ماساكي يســتطيع الآن أن يتذكَّر ذلك الحلم من البداية إلى النهاية بكل تفاصيله.

كان محتوى الحلم كما يلي:

ماساكي مختفٍ في الليل وراء ظلٍّ ما، يتأمَّل امرأة ما. المرأة لا زالت في عمر الشباب، ربما تخطت العشرين من العمر بقليل. توليه ظهرها، وهي عاريةٌ تمامًا وتقف فوق ما يشبه حصيرةً من أعواد الخيزران.

توجد بجــوار أقدامها الملابس التي خلعتهــا لتوّها. وبجانبها كوزٌ وطســتٌ ملآن بالماء. المكان مجهولٌ لديه. ولكنَّه في منطقة معزولة ومنغلقة تمامًا ولا يوجد ظلٌّ لإنســان غيرهما. وتُرى غابة أشجار عند مرمى البصر.

القمر علــى غير عادته في كامل الوضوح. جســد المــرأة المتألِّق يعكس تلك الأشعة بغموضٍ وكأنَّه يلتحِف بهالةٍ من الضوء.

الشــعر الأســود الفاحم، الغني والوفير والذي يصل إلى خصرها، ينعكس بجمالٍ على بشرةٍ بيضاء مثل الثلج. تعاني المرأة بشدةٍ منذ مدَّة في محاولة تصفيفه بالمشــط. العضد التي تحمل المرفق لأعلى كأنَّها فراشــة تســتريح فوق زهرة. تقف فوق الرأس وهي تهتز قليلًا وببطء. العنق الطويل المنحني قليلًا، يُظهر الفك الســفلي ثم يُخفيه مرَّةً أخرى بسرعة وخفة. الكتف صغير. الظهر يلمع وكأنَّه قطعة من الحلوى.

بعدما جمعت الشــعر، حلَّــت المرأة ذراعيهــا المعقودتين بهدوء وأنزلتهما لأســفل. وفي الحال تحوَّلت الفراشــة وتغيَّرت هيئتها إلى

مشطٍ صغير.

طوال تلك الفتــرة كانت المرأة تتأمَّل لون القمر الذي ينعكس على سطح الطست.

بعد فترة، وعندما وصلت إحدى ركبتيها إلى الأرض ببطء، غرفت ذلك القمر بالكوز الذي في يدها. اهتز البدر المكتمل على سطح الماء في الكوز.

كان ماساكي يتابع في شــغف ونشوة ذلك المنظر المريب من دون أن يبعد عينيه.

أخيرًا، أمالت المرأة الكوز بشــيءٍ من التردُّد فــوق حافة الكتف. فانساب الماء في هدوءٍ ليرطِّب جفاف البشرة. لمع الظهر للحظةٍ بلون الذهب.

ثــم أصابت اللمعة مقلة ماســاكي في الحــال. التفكير في وجهها المحجوب عنه، جعل جســد ماســاكي الذي كان حتــى تلك اللحظة متخفيًا يكتم أنفاسه، يرتعش. ومن دون وعي ضغط بأصابع قدمه بقوَّة على عقدة الخُفِّ. تركت المرأة الكوز، ثم قامت واقفة فســقط المشط من على رأسها فجأة بلا وعي منها.

فارتطــم بحصيرة أعواد الخيزران وارتــدَّ لأعلى. تطايرت قطرات الماء. اندفع الشــعر المبتل متحررًا على الجســد وكأنَّــه نافورة ماء. وضعت المرأة يدها عليه. وانعقد الذراعان مرَّةً أخرى كفراشة...

ثم في اللحظة التي توشــك المرأة على الالتفات إلى الخلف تجاه طيف ماســاكي الذي نفد صبره فتقدم خطوة إلى الأمام، ينتهي الحلم فجأة ويرحل بعيدًا عنما يحصل.

في المرَّة الأولى التي انتبه ماساكي لهذا الحلم، مع ابتسامته الساخرة تجاه ارتفاع شهوته العادية، تمتع بتذكُّر لمعان وجمال منظر تلك المرأة المجهولة.

المرأة لا توجد في ذاكرته. وهذا الأمر مؤكد تمامًا، إذ فكَّر في عدم وجود شـــيء بالذاكرة يمكن مقارنته بالجمال الــذي ظهر له في ذلك الجسد العاري. ولكنه شعر لسبب ما بالحنين تجاه تلك المرأة. كما لو أنها شخص كان يعرفه معرفة حميمة لمدة طويلة في ما مضى. جرَّب أن يشكَّ في أن تكون المرأة هي امرأة المظلة التي كان على وشك نسيانها. ولكنهـــا على ما يبدو لم تكن هي بأيِّ حال. يوجد في ظهر امرأة الحلم جمالٌ حزينٌ لا تملكه المرأة التي لمحها في محطة القطار. يوجد داخل الحلم استحالةٌ لا تسْكُن إلَّا في الأحلام.

تذكَّر ماســاكي فجأة حكاية المرأة العجوز التي ســمعها في الليلة الســابقة. وفكَّر أنَّ تلك الحكاية البائســة، من الممكــن أن تنقلب في الذاكرة على عقبيها بشــكلٍ غير متوقَّع وتظهر كحلم شــهواني، على العكــس تمامًا من الواقــع. فكَّر في وجود هذه الظاهــرة، كلَّما كانت مشاعر الشــفقة عميقة الإخلاص، ظهرت في الحلم كفعل باهت أكثر وأكثر. وبهذا غرق فجأة في شــعور بالوحدة لم يجد له مصرفًا، فأقلع عــن البحــث والتدقيق في كلِّ الأفــكار العديدة التي تلــوح في عقله الباطن. إنَّه حلــم عجيب حقًا. ولكنه فكر في أنَّــه لا مانع أن يدع لغز الحلم لغزًا كما هو.

ولكن الأمر كان مختلفًا هذا الصباح. فلقد رأى اليوم الحلم نفســه الــذي حلم به أمس وأمس الأول. بل وعلى ما يبدو من قبل أن يســمع

حكاية المرأة العجوز وهو مستمر في رؤيته لفترة طويلة.

فكَّر ماســاكي أنَّ ذلك أمر غير مستحيل الوقوع. ربما يكون التعب والإجهاد البدني ســببًا لذلك. ولكن كان الحلمان، منذ البداية وحتى النهاية، متشابهين تمامًا، وهو أمر غير طبيعي، مهما أعملنا فيه الفكر.

كان ماساكي في هذه الأثناء قد خرج ووقف في الحديقة يفكر بتلك الشكوك متحيّرًا.

هذا الصباح، بعد رؤية ذلك الحلم مباشرة تصادف أن تذكَّر ماساكي شعرًا يقول:

«قطرات الندى فوق زهرة السحلبية التي يفوح منها قليلٌ من العطر، هــي مثل قطرات الدمع فوق عين الحبيبة، حتى لو لم يكن معي شــيء أهديه لها كبرهان حب، يصعب علــيَّ قطف تلك الزهرة المختفية في ظلام الليل.»

لا، كلمة تذكَّر ليســت هي الكلمة المناســبة. فالكلمات لم تصبح حروفًا ثم أصواتًا، بل فجأة طفت وخرجت من تلقاء نفســها إلى فمه. ولأنَّ ذلك كان مفاجأة شــديدة له، شعر ماســاكي وكأنَّ شخصًا ما قد استعار فمه وهمس بذلك الكلام، فأحسَّ أنَّ مزاجه قد تعكَّر قليلًا.

والحقيقة أنَّ ماســاكي ظلَّ لفترة من الوقت لا يســتطيع تذكَّر أصل هذا الشعر. بعد أن خرج إلى الحديقة وظلَّ يفكِّر في هذا وذاك، أخيرًا، وتقريبًا بالصدفة البحتة، وصل إلى أصل ذلك الشعر.

كان الشــعر هو الســطور الأولى من قصيدة «سوشوشــو» للشاعر الصيني «لي هِي»[1]. ثم كان ذلك مفاجأة ثانية لماساكي.

---

(1) لي هِي (790 – 816): شاعر صيني عاش في أواخر عصر إمبراطورية تانغ. مات

لم يكن ماساكي من محبي قراءة أشعار 「لي هِي」 بشكلٍ دائم. لقد قرأ فقط منذ زمن طويل مضى 「ديوان أعمال لي هِي الكاملة」، وحفظ بعض المقاطع منها فقط. قصيدة 「سوشوشو」 هي إحداها، وحاليًا انقطع عنها ولم يعد يرددها مطلقًا.

ولكنها فجأة بُعثــت، في لحظة، من أعماق الذاكرة، وارتفعت فوق أطراف شــفتيه الجافتين وهو بعدُ لم يفق بشكل كامل من حلمه. وكأنَّ أحدهم قد اقتطعها هي فقط عامدًا متعمدًا من وســط قطعان الكلمات الأخرى هائلة العدد. مثل الذي يضع شبكة صغيرة في حوض الأسماك فلا ينظر إلى كلِّ أسراب الأسماك الحية الطازجة التي تتلامس قشورها، ولكنه يصيد متعمدًا الأسماك التي على وشك الموت، الغارقة في القاع.

فــي الواقع، لم تكن هذه التجربة في هــذا الصباح هي الأولى. من عدة أيام مضت، وبالضبط عندما كان يسمع صوت الماء، تذكَّر ماساكي بشكلٍ مفاجئ مقطعًا شعريًا يقول: 「الماء الهادر له صدى مثل الجواهر」. وقتها لم يردِّد الشعر على لســانه، ولكنه فقط برز في عقله الباطن. في العادة، ماساكي عندما يعجب بعملٍ، شعرًا كان أو رواية فهو يحفظه عن ظهر قلب، وكثيرًا ما تُبعث داخله مقاطع منه وكأنها نغمات لحن ما. وبرغم قول ذلك فهو لا يفحص مثل تلك المقاطع واحدة واحدة، ولذا فكَّر وقتها قليلًا، ثم أهمل الأمر بلا أية مبالاة.

ولكن الآن، وعندما يعيد التفكير في ذلك، يأتيه إحســاسٌ أنَّ تلك

صغيرا ولكنه عُرف بالنبوغ والعبقرية الشعرية خاصة استخدامه المكثف للرمز وعدم تقيد شعره في تلابيب التقاليد، بل كان حرا بارعا في تكوين لوحات شعرية مليئة بالخيال والأحلام. قصيدة 「سوشوشو」 من أشهر أعماله وهي قصيدة رومانسية من الشعر الرمزي المكثف.

المقاطــع أيضًا كانت أبيات من قصيدة للشــاعر 「لي هِــي」. لا يعرف عنوانها. ولا يســتطيع تذكُّر الأبيات التي قبلهــا أو بعدها. ولكن كان الأمر مثل لقاء شخص تعرفه لم تقابله من فترة بعيدة في الحلم من دون توقع، فلقاء ماساكي بأشعار 「لي هِي」 بلا سبب في هذا المكان من عمق الجبل، جعله بشكل ما يشعر بتعكر المزاج.

「قطرات الندى فوق زهرة السحلبية التي يفوح منها قليل من العطر، هــي مثل قطرات الدمع فوق عين الحبيبة، حتى لو لم يكن معي شــيء أهديه لها كبرهان حب، يصعب علــيَّ قطف تلك الزهرة المختفية في ظلام الليل.」

كان الصبــاح باردًا قليلًا، مما يجعل البشــرة تحس بقشــعريرة برد خفيفة. مع شعور ماســاكي بالتشاؤم من تسلســل أفكار متنوعة على ذهنه، ردَّد على لســانه أبيات الشــعر تلك مرَّة ثانية. ثم وجَّه نظره إلى الضباب المتراكم في الحديقة، وبعد ذلك وجَّه نظره كما هو إلى الأفق البعيد.

تغــرِّد العصافير بعيدًا على غير العادة. بــدأ الضوء يلوح بالفعل في السماء، ولكن العجيب أنَّ الصباح بدا بعيدًا جدًا. الجبال تتصل ببعضها متراكمة معًا وتبرز بين موجات الغيم والدخان. ظلالها بالغة الضخامة إلى درجة اليأس.

فجأة، ســأل ماساكي نفسه 「اليوم أيُّ هو الأيام يا تُرى؟」 منذ أن جاء إلى هنا أقلع تلقائيًا عن عدِّ الشهور والأيام. ليس الأمر بسبب الارتياب في كلام إينيو ولكنه يعتقد أنَّ اســتمراره في النــوم لمدة ثلاثة أيام أمر يصعب تصديقه. بالفعل، هو يفهم أنَّه لا يوجد ســبب يجبر إينيو على

الكذب. ولكن لأنَّه مهما نام الإنســان لوقت طويل فلحظة نومه متصلة تمامًا بلحظة استيقاظه وكأنهما ملتصقتان بصمغ، ولذا فهو في النهاية لا يشــعر، إلَّا أنَّ الوقت الذي يمرَّ أثناء نومه وكأنَّه عبارة عن ارتخاء صَنَعه تدفّق الزمن أسفله أثناء سريانه.

في كلمة واحدة يقال: 〚مرت ثلاثة أيام〛. ولكن هل يمكن النوم طوال تلك الفترة الطويلة من دون الاستيقاظ ولو لمرَّة واحدة. وربما أنَّه مرّت علاوة على ذلــك عدة أيام أُخَر قبل أن يعثر عليــه إينيو صدفة. يوم أو يوميــن، أو ربما عدد أكثــر من الأيام. وما دام ذلــك الأمر غير مؤكد، فحتى لو أحصى عدد الأيام والشهور فهو في النهاية أمر بلا جدوى.

وهكذا لم يكن ماســاكي يســتطيع تحمُّل القلق الــذي يعاني منه، ويصعب إعطاؤه اســمًا محددًا، دون أن يُعطي له شكلًا ما بإلباسه رداءً من الجدل بهذه الطريقة. بالتأكيد، فثلاثة أيامٍ فترةٌ طويلة. ولكنه يشــعر أن ذاكرته أثناء تيهه في وســط الجبل، ليستٍ ثلاثة أيام فقط، وإنما أكثر من ذلك، يشعر وكأنَّه مرَّ عليها عدة أشهر، أو عدة أعوام. لا بل لا يمكن لــه التعبير عن ذلك بفترة زمنية مهما طالــت. وكأنَّ الذاكرة قد فُصلت وأُبعدت عن مســار الزمن تمامًا من خلال شــيء ما آخر يختلف عن الزمن، أكثر من كونها عبارة عن فجوة وجدت من خلال زمن ما محدد.

يوجد لدى ماساكي شعور خادع غريب نسبيًا محتواه أنَّه قد انفصل عــن **الزمن الواقعي** وأصبــح بينهما فجوة. ليس فقط لأنَّه لا يســتطيع التأكُّد مــن تاريخ اليوم في التقويم. ولكن لأنه فــي هذا المكان، يبدو وكأنَّ **زمنًا آخر** ينساب. أو كأنَّ الزمن نفسه توقف عن الحركة. يتكاثف هذا الشعور بقلبه على شكل قلق.

هناك عدة أسـباب لمثل هذا القلق. مثلًا، أحد هذه الأسـباب هو فقدانه لسـاعة الجيب التي كان يحملها دائمًا، فـي مكان ما لا يعرفه. يبدو أنها سقطت منه أثناء الطريق في الجبل.

ولكن، بالإضافة إلى هذا السبب، يوجد كذلك سببان مهمان.

الأول هو منظر هذه الحديقة التي يقف فيها الآن.

يخرج ماساكي كلَّ يومٍ تقريبًا إلى الحديقة، ويرى بأم عينيه تفاصيل تلك التغيرات المتسارعة فيها. وكان ذلك في منتهى الغرابة. في البداية كان يعتقد أنَّ ذلك بسبب أوهامه. ولكن تدريجيًا ومع وضوح المناظر بدرجة كبيرة، ما يشاهده حاليًا أمام عينيه أصبح أمرًا غير مشكوك فيه.

يدخـل الفراش، وعندما يفتـح عينيه في صباح اليـوم التالي يجد الزهور قد نمت وكبرت. وفروع الأشـجار امتدت وطالت. والأوراق ازدادت اخضـرارًا. وكل ذلـك بشـكل واضح إلى درجـة أنَّه يمكن ملاحظته بمجرد النظر.

وكأنَّ ذلك من خلال قوَّةٍ مختلفةٍ عن قوَّة الطبيعة، وكأنَّها تعمل على حثِّ وتسريع النمو بشـكل لافت. لا، ليس حثًا وتسريعًا، بل كان الأمر يبدو وكأنَّها تفرض النمو عنوة وغصبًا لدرجة تقترب من الألم والمعاناة. ولم تكن درجة ذلك النمو موحّدة. التغيُّر يزداد تدريجيًا، بدءًا من الكوخ الذي يقيم فيه ماسـاكي، وصـولًا إلى المكان الذي توجـد فيه المرأة العجوز، مرورًا بقاعة صلاة الزن. يعوجّ الزمن أكثر وينساب بسرعة أكبر كلَّما اقترب من كوخ المرأة، بالضبط وكأن انسياب الزمن يشبه تدحرج مخروط أفقيًا تجاه كوخ المرأة بعد تثبيت قمته على الأرض.

كذلك يوجد سـبب آخر، وهو الهلاوس البصرية والسـمعية التي

تهاجم ماساكي من وقت لآخر.

يترك الفــراش ويرتدي خفَّ القشِّ. ينفــض الأتربة من فوق كتفه. يضع عودتَيْ الأكل فوق آنية الطعــام. يضع يده على باب المرحاض. يغلق حقيبة ســفره. يتثاءب. يحك رأســه... في كلِّ حركةٍ من حركاته اليومية العادية تلك، يجد نفسه أحيانًا راقدًا وحيدًا في ظلام الليل وسط هذا الجبل. فوق رأســه طيور الوقواق تصيح بيــن فينة وأخرى. وفي راحة يده منشفة متســخة يقبض عليها. العين تتألم من الأتربة والطين. ويشعر على خدوده بملمس الأوراق والفروع التي توشك على التآكل. والأنف تستنشق الطين. وأمام عينيه تزحف أنواعٌ من الحشرات ذوات الأرجل المتعددة. ومن فتحة الجرح ينــزف دمٌ حارٌ رطبٌ بلا توقف. ثم في قاع الظلام، تتألَّق نقطتين بلونٍ أحمر قرمزي كما لو كانتا ثمرتين من ثمار الحرنكش. وكل ذلك، فيه حياة وحركة تجعله أكثر من مجرد كونه هلاوسًا. وكل شيء له ملمس حقيقي ومؤكد. فهو يمتلك قوة من الصعب مقاومتها وكأنها تقترب مهاجمة إياه. ثم تلك الظاهرة الغريبة، مع مرور الأيام، تحدث باضطراد، ولوقــت أطول، وأصبحت وكأنها تأخذ ماساكي وترحل به بعيدًا في أعماق الغابة.

يحاول ماساكي في بعض الأحيان أن يفكِّر، بلا فائدة، في الأسطورة الشــعبية التي تسمى "سيرة أوراشــيما"[1] وبدأ يشعر بالقلق بعد أن رأى

(1) أسطورة أوراشيما: أسطورة شعبية يابانية تحكي عن صياد أنقذ سلحفاة صغيرة من أيدي صبية كانوا يلهون بها، وردا لصنيعه هذا اصطحبته السلحفاة إلى قصر التنين المسحور، ليقضي أياما سعيدة. ثم عند عودته أعطته صندوقا صغيرا وقالت له ألا يفتحه أبدا. عندما عاد أوراشيما إلى وطنه لم يجد أحدا يعرفه، وعندما فتح الصندوق تحول في التو والحال إلى عجوز كبير أبيض الشعر. ليعلم أن أيام السعادة

بـــوادر الجنون تعتريه، لأنَّه يفكِّر في ذلك الأمر بما يشـــبه الجدية. حقًا لا يوجد هنا مكانٌ فخمٌ مثل قصر التنين المسحور. لا يوجد إلَّا عجوزٌ وحيدة على مشـــارف المـــوت الموحش. بدأ ماســـاكي يعتبر أنَّ هذه التخيُّلات والهلاوس لا بُدَّ وأنها، فـــي النهاية، من صنع الملل. ولكنه رغم ذلك ما زال لا يستطيع الاطمئنان. يبدو أنَّ ماساكي لم يعد يستطيع الإيمان بأنَّه بعد هبوطه من هذا الجبل ســـيجد العالم الذي كان يعيش فيـــه فيما مضى ما زال موجودًا كما كان في الســـابق. فهو يعتقد أنَّه من الصعوبـــة بمكان أن تلتصق نهاية الزمن الذي مرَّ كيفما شـــاء في أرض لا يعرفها، بزمنٍ ما قبل قيامه برحلته هذه في الأقاليم، هذا الذي استمر ينساب كذلك على هواه، ليكوِّنا تسلسلًا واحدًا من الزمن.

على الأقل، في الرحلات الســـابقة، لم يحدث له ولو لمرَّة واحدة أن شعر بتلك المعاناة. في الواقع، بعد عودته من كلِّ رحلة، وفي اليوم التالي، كانت كلُّ عناصر الحياة اليومية تعود مرَّةً أخرى وكأنَّ ذلك أمرًا عاديًا وطبيعيًا، ولكن على ما يبدو أنَّ حدوث ذلك الآن أمر مشكوك فيه تمامًا. بل وصل به الأمر إلى درجة ارتيابه من أنَّ ذلك الأمر مســـتحيل من أصله.

مثل هذه الشكوك التي بلا أيِّ دليل، ولأنه لا يستطيع إقناع نفسه من خلال إثبات العكس، تكون الشكوك مزعجة بدرجة أكبر. والحقيقة أنَّه كلَّما حاول ماساكي اعتبار تلك الشكوك لا نهاية لها، شعر بزيادة القلق أكثر وأكثر بلا جدوى.

بدأ الضباب يقلُّ شـــيئًا فشيئًا. وشعر ماساكي فجأة بطيف إنسان ما، فنظر إلى الخلف.

المعدودة التي قضاها في قصر التنين هي عبارة عن مئات السنين من عمره.

كان باب قاعة صلاة الزن مغلقًا كما هو.

وعندما توقف عن تفكيره العميق، نظر إلى السـماء مرَّةً أخرى وهو يتنهـد. يفرد طائر الغراب الأسـود جناحيه بفحولة وسـط غيم الأفق البعيد. استدار ماسـاكي للخلف، وكان على وشك العودة إلى كوخه، بجوار قدمه يوجد حلزون يزحف ببـطء. أثره على الأرض يلمع مثل مسحوقٍ من الفضة.

***

بعد ذلك وحتى بعد مرور عدة ليالٍ أخرى، ظلَّ ماساكي مستمرًا في رؤية الحلم نفسه.

في كلِّ مرَّةٍ تخلع المرأة ملابسـها، تكـرِّر صبَّ لمعة متجددة على جسـدها. وقد أصبح منظرها هذا أكثر انكشافًا، وتصبح أصعب معرفة هل هو حلمٌ أم حقيقة، وحتى بعد استيقاظه، كان ماساكي يظلُّ ثملًا من بواقي رائحة الذاكرة القوية.

حتى الآن، يشعر ماسـاكي بقليلٍ من التشاؤم بسبب هذا الحلم. أو ربما كان التكرار المُلِحِّ للمناظر، هو ما يجعله يشـكُّ أنَّه بداية أعراض الجنون. ولكن حتى تلك الأحاسـيس الكئيبة قليلًا، أصبحت بالفعل سحرًا عجيبًا يجذبه للمرأة. عندما يتهيَّأ للنوم يجتاح ماساكي شعوران، شـعور الفرحة لأنَّه سيسـتطيع مقابلة المرأة، ومعه شعور الخوف من فقدانها فجأة في تلـك الليلة. ثم في الصباح التالـي، وبعد أن يتحقق اللقاء ثانية بشـكل أكثر تأكيدًا من الليلة السابقة، يغوص بمفرده في قاع ذكرى اللقاء المتبقية وهو يحس بنشوة عارمة.

الأمس واليوم هطلت الأمطار في النهار قليلًا. فرح ماسـاكي لذلك.

ثم تمنَّى لو أنها تســـتمر في الهطول طويلًا بلا انقطاع. كان ماساكي ينوي أن يهبط من الجبل مباشرةً فور شفاء جروحه كما أبلغ إينيو. ولكنه منذ أن سحرته امرأة الحلم، بدأت هذه النية تضعف رويدًا رويدًا، وعلى كلِّ حالٍ بدأ يعاني مؤخرًا من التفكير في هذه الحُجَّة أو تلك كسببٍ يجعله يبقى.

لدى ماســاكي شــعور بأنَّ هذا الجبل يبتلعه. وما جعله يحس بهذا الإحســاس، هو تأكده من حالة الجرح أمــس. ذلك الجرح الذي كان عبارة عن شــقٍ في اللحم متورمٍ بلون قرمزي جعله السم يفرز صديدًا، أثناء مراقبته للجرح على مدى عشــرة أيام، لاحظ انه شــفي تمامًا ولم يتبق منه إلَّا قشــرةً فقط. حتى الألم اختفى. وتوقَّفت أعراض التســمم من حُمّى وقيء.

حدث لماساكي شكٌّ بسبب ذلك. بالطبع شفاء الجرح أمر يجب أن يفرحه. ولكنه حتى الأسبوع الماضي، لم يكن يستطيع الوقوف من دون الاتكاء على عكَّازةٍ. والآن أصبح يتجوَّل داخل المعبد بحرية من دون عائق. هل هذا بفضل الدواء؟ ربما يكون الأمر كذلك. ولكن حتى ولو كان كذلك، من المفترض أنَّه ما زال يحتاج لبضعة أيام كي يشفى تمامًا.

نظر ماساكي الواقف في الحديقة بعد توقُّف الأمطار في الليل، إلى الزهور المتألقة في لمعة ضوء القمر، ثم أخفض بصره ناحية جرح ساقه في قلق. ثم فكَّر...

▯ربما أكون قد أودعت ساقيَّ من دون أن أدري في تيار الزمن العنيف في هذه الأرض.▯

يظهر قمر ليلة الرابع عشــر ضبابيًا، من خلف الســحاب الشــفَّاف المتحرِّك. الرياح تهبُّ في السماء.

رفع ماساكي رأسه ناظرًا إلى أعلى.

مع مرور الأيام يزداد القمر انكشافًا وظهورًا وكأنَّ غطاءً أزرق بلون السماء ينحسر تدريجيًا من على سطح مرآة. من حدوث هذا الاكتمال فقط يمكن الإحساس حقًا بمرور الزمن. ثم وكأنَّه مثل الشخص الذي يتأكد من كثرة الأتربة المتراكمة على الأشياء بعد دخوله كوخ صغير لا يرتاده أحد، فقط من منظر الحديقة التي ترتوي بأشـعة السماء البيضاء كلَّما ازداد الليل ظلمة، كان ماسـاكي يستطيع الإحساس بمرور الزمن واقعيًا. الزمن ينسـاب من السماء بلا انقطاع. كلُّ شـيءٍ ينمو بدرجة مؤلمـة متجهًا نحو لحظة مـا، وكأنَّه تلبية لنداء القمـر، الزهور يتزايد عطرها، وأشجار الغابة الخضراء تمد أغصانها وأوراقها.

تيار الزمن السريع ينصبّ بازدياد على آثار الجرح محاولًا تطهيره من تلك البقايا الضئيلة للغاية. ثم من قاع ذلك التيار يمد ذلك المنظر الليلي ذراعيه بلا توقف، محاولًا سحب ماساكي وإغراقه في أعماق الهاوية.

فقط فـي الوقت الـذي يُقبـض عليه بتلـك اليديـن المظلمتين المشـدودتين بقوة، يشـعر ماسـاكي أحيانًا بألمٍ خفيفٍ جدًا في فتحة الجرح. ثم يأتيه شـعورٌ فقط أثناء سقوطه وترسّبه في قاع تلك الأوهام أنَّه موجود في الزمن الماضي.

حلم المـرأة مرتبط بعمق مـع هذا الجبل. سـبب تفكيره في هذه الأفكار، وهذه الطريقة التي تتضح تدريجيًا، هو أنَّه يشعر وكأنَّه يتلامس في مكان ما مـع تتبع ذلك الزمن. من المفترض أنَّه لن يسـتطيع رؤية المرأة مرَّةً أخرى بعد نزوله من الجبل وإلى الأبد. ترك المعبد والرحيل عنه معناه الاستغناء عن المرأة تمامًا. كان ماساكي ينظر إلى المرأة وقتًا أطول من اللازم وكذلك **أبعد** مـن اللازم، إلى الدرجة التي ييأس فيها ويعتبرها مجرَّد ذكرى عجيبة حدثت أثناء الرحلة.

كأنَّه قد استشـــف ما في قلب ماســـاكي من رغبة فـــي الامتناع عن الرحيل عن الجبل، أصبح إينيو يسأله من وقت لآخر عن حالة الجرح. وكان ماساكي يتهرَّب من ذلك الموقف باختلاق كذبة ما. ولأنَّ تكرار ذلك جعله يعاني نفســيًا منه، أصبح مؤخرًا يحــاول تلافي رؤية إينيو وجهًا لوجه قــدر الإمكان، إلَّا فقط عند اضطــراره للذهاب إلى قاعة صلاة الزن لتناول الطعام.

وبالطبع كان ذلك شــيء يجعل ماساكي ذاته يشعر تجاهه بالغرابة. وأحيانًا، يشــكُّ أنَّ كلَّ تلــك الأحلام والهلاوس عبــارة عن أعراض جانبية سببها ســمُّ الثعبان. ولكنه لا يستطيع التفكير أبعد من ذلك. كلُّ أنواع الشــكوك يتم ابتلاعها في لمح البصر بواسطة القوَّة الهائلة لكل التجارب العجيبة تلك.

وكانت تلك القوة تحاول أحيانًا أن تبتلع حتى هذه اللحظة الواقعية. وكأنَّ لحظة اليقظة هذه هي بالذات هلاوس مبهمة. وكأنَّ الحلم المرئي هو ماساكي ذاته.

***

حسنًا، في الليلة الخامسة عشرة بعد عودة ماساكي إلى الوعي.

إينيو بعد تناول طعام العشــاء في قاعة صــلاة الزن، ووضع صحن الطعام، وبطريقته اللامبالية المعهودة قال إينيو موجهًا كلامه لماساكي:

「هل رأيت القمر الليلة يا سيد ماساكي؟」

「القمر؟ .... لا، لم أشاهده الليلة بعد.」

「إنَّه بدرٌ. لقد مرَّ على مجيئك هنا نصف شــهر بالتمام. على حد ما أرى، جرحــك قد طاب بالفعل. ما رأيك، ألم يحن الوقت للرحيل عن الجبل ومواصلة رحلتك؟」

لم يجب ماساكي على سؤال إينيو بل فقط ظلَّ مطرق الرأس أمامه.

「يا سيد ماساكي، لا توجد أيُّ فائدةٍ من بقائك هنا. إذا كان الجرح قد شفي، فمن الأفضل لك أن تغادر هذا المكان ولو في صباح الغد. وسأقوم أنا بإرشادك حتى سفح الجبل.」

「.........」

「سيد ماساكي!」

「.... ألا يمكن بأيِّ حالٍ أن تسمح لي بالبقاء لفترة هنا؟」

لم يجيب إينيو.

「وما السبب؟」

شحب وجه ماساكي ومن دون وعي ارتفع صوته عاليًا بعنف.

「ما السبب؟ أرجوك أخبرني أنت ما السبب. كما تفضلت بالقول فالجرح قد شفيَ بالفعل. ولقد قمتَ أيها الراهب المبجَّل بفعل الكثير والكثير من أجلي. وأعلم تمام العلم أنَّ طلب ما هو فوق ذلك يعتبر من قبيل الوقاحة. ولكن هل يوجد سبب معين يجعلك أيها الراهب المبجَّل ترغب في طردي من هنا؟ إني محافظٌ على وعدي لك بشكل مؤكد. ولم أقترب ولو خطوة واحدة من الكوخ. وفيما عدا الإثقال عليك بإطعامي مثلما تفعل الآن، أصبحت لا أقلقك بأيِّ عبء. وكشكر على رعايتك لي طوال تلك الفترة، كنت أفكر أن أردَّ لك الجميل على شكل تبرُّعٍ بالمال للمعبد. هل إقامتي هنا غير مناسبة؟ ولكن هذا أيضًا لن يدوم طوال العمر. بل فقط لفترة قصيرة، اتركني فقط لمدة قصيرة!」

في مواجهة ماساكي الذي يلحُّ في طلب الإجابة وقد بدا فاقدًا لرشده، تكلم إينيو الجالس على صخرة بنفسجية جافة، بالكلمات

التالية في برود بالغ:

「في الأصل، أنا لم أقدم على إنقاذك بسـبب الرحمة. بل لقد قمت بإنقـاذك فقط للتغلب على شـهوة النفس التي هجمـت عليَّ للحظة وجعلتني، على وشك أن أتركك كما أنت.」

الصمت لم يترك الفرصة واسـتحوذ على ما تبقـى من فراغ. ذُهل ماسـاكي للحظة. ثم عندما جذب جسـده الذي اندفع للأمام، لمست يده الأرض كما هي في حركتها. صدر صوت خافت من الأرضية ذات الألواح الخشبية.

「ولكن لماذا يا سـيد ماسـاكي أنت متمسِّـك أصلًا بالبقاء في هذا المكان؟」

「............」

「**لا يوجد هنا شـيء بالمرة. لا شيء**. ولا يُعقل أن يوجد شخص لا يفهم ذلك.」

لفترة ظلَّ ماسـاكي صامتًا مطأطأ الرأس. ثم أخيرًا أومأ مرَّة واحدة ورأسه كما هو.

「حسـنًا فلنغادر هذا المكان في الصباح الباكر غدًا. من الأفضل أن تستريح جيدًا اليوم يا سيد ماساكي.」

بعـد أن وضع أواني الطعام بعضها فوق بعـض ووقف، ألقى إينيو نظرة على ماساكي ثم ترك المكان ورحل بمفرده.

في وسـط الهدوء المطبق فقد ماسـاكي المكان الذي يصرف فيه مشاعره المهتاجة بعنف.

「لماذا تتمسك بالبقاء هنا بهذا الشكل؟...」

إزاء سؤال إينيو هذا الذي ليس له حيلة نحوه، فكَّر ماساكي لحظة في الردِّ بقوله: 「من أجل امرأة الحلم.」 ثم فكَّر بعدها في غباء ذلك الردِّ. وعند ذلك تراجع خيال المرأة بخفَّة إلى العالم الذي يجب عليه السكن فيه، وكأنَّ الزهرة التي كان يتأملها أمام عينيه قد سقطت فجأة كما هي في كامل تفتحها. تلك الهيئة التي كانت قد بدأت تظهر تدريجيًا في عالم الواقع، وكأنها تصطبغ به، ابتعدت مرَّةً أخرى للأسف في غياهب الحلم.

في ذات اللحظة، ملأت قلب ماساكي، بهدوء، كلماتٌ كثيرة، مثل الأحلام والحقائق، وبدأت تؤلم كلَّ ركنٍ من أركان هذا العالم. المرأة أصبحت أسيرة في سجن الكلمات. وأغلق ماساكي عليها أقفالها. ثم حدَّث نفسه بمفرده وهو مسحورٌ بشكٍّ مقلق.

「هل **وقعتُ في حب** تلك المرأة؟」

عندها، ضحكة مكتومة صدرت تقريبًا بلا وعي، هي التي أنقذت ماساكي من تلك الحالة بصعوبة بالغة. ثم ضحك هذه المرَّة متعمدًا مستندًا على تلك الضحكة.

توجد مشاعر إذا لم تسمِّها فلن تعرفها. وبالإضافة إلى ذلك، توجد مشاعرٌ ربما تكون مختلفة في الأصل، ولكن تسميتها، يجعلها تتحرَّر لتتناسب مع تلك الأسماء. وإذا حاولنا الانتباه نجد أننا نعتقد أنَّ كلاهما الشيء نفسه.

ماساكي لا يعرف إن كان يحب فعلًا تلك المرأة أم لا. ولكنه عندما جرَّب أن يشكَّ في ذلك مستخدمًا الكلمات، بدأ يعتقد، في الواقع، أنَّه يحبها فعلًا. ثم بدأ يفكر في غباء ذلك. بالفعل هو لا يتذكَّر المرأة. ولكن في النهاية وبما أنها تظهر في حلمه فهي من صُنع ماساكي نفسه.

أي أنها وهم من الأوهام.

يقول إنَّه يحبها. حســنًا إذا كان الأمر كذلك فليجرب أن يشــكَّ أنَّه يتمنَّى في الحلم أن يُحب. وأخيرًا شعر بالتقزّز وفكر كما يلي.

「ليس ذلك حب أو كره. الحلم عبارة عــن حلم... إنني أهذي ولا شــك. وبالتأكيد، فالراهب المبجل يمتلئ قلبــه بالاحتقار نحوي ولا ريب.」

لعن ماســاكي كلماته العديدة التي تفوه بها وهو شبه مغيب الوعي. ولعن ذلك الغباء المثير للفكاهة.

「لقد فهمت، مــاذا لو كان الأمــر مجرد كراهية مــن الراهب إينيو نحوي؟ أيَّما كان السبب في تلك الكراهية، فعندها لا يجب القلق،...」

مرَّةً أخرى وقع ماساكي أسير السخرية من الذات. ثم حاول أن يلقي بكل المشاعر والأحاسيس التي شعر بها في قلبه تجاه تلك المرأة حتى ذلك اليوم.

ثم في اللحظة نفسها، تبدَّل فجأة حال المكان وتغيَّر فأصبح في غابة الليل المظلمة.

كان ذلك المشهد العادي الذي تلمع فيه النقطتان باللون القرمزي في الظلام ويصيح فيه طائر الوقواق. ولكن هذا المرَّة فقط المنظر يختلف قليلًا. مهما حاول أن يتشكَّك، فلا يمكن له إلَّا أن يعتقد أنَّه موجود في الواقع بنفسه في ذلك المكان. لا، بل إنَّ جسده بأكمله يحس بذلك في وضوح تام، بلا أيِّ ريبٍ على الإطــلاق. يثير جرح القدم آلامًا مبرحة مع حمَّى شــديدة لم يعرفها من قبل قطّ. راحة يــده الملطخة بالدماء، ترتعش متسخة بالطين. جمع قوته محاولًا إيقاف رجفة أصابعه، فدخل الطين تحت أظافره. ضغطت أغصان الشــجر التي على وشك التعفن

على الأذن مصدرة صوت انســحاق. أنفاســه المهتاجة، تجعل أوراق الأشجار الذابلة التي حول فمه توشــك أن تنقلب على ظهرها ولكنها تعود كما كانت.

«.... هل هذه أيضًا هلاوس؟»

فجأة نظر ماســاكي إلى النقطتين أمامه، وعلى الفور فقد ماســاكي الدماء التي تجري في شــرايينه كلَّها، وشــعر بإحساس أنَّ حتى الدماء المتبقيــة بصعوبة كأنها قد تجمدت وأصبحت بــاردة. الضجيج الذي تصدره الأغصان والأوراق التي تغطي ما فوق رأســه، بدا ضئيلًا يبتعد بعيدًا، ثم في وقت ما، تحوَّل فأصبح هو صوت النهر الذي ســمعه من قبل.

غرق العالم فــي الظلام. جمجمة الرأس تؤلمــه بعنفٍ كأنَّ خلايا المخ تنتفخ من الداخل وتضغط عليهــا. ويخرج من فمه لعاب كثيف يشبه صمغ شجر الصنوبر.

ومن وقت لآخر يغيب عن الوعي. ولكن عندما يحدث ذلك، تظهر قوَّة ما شديدة البأس تجعل وعيه يستيقظ عنوة، وتحاول أن تجذبه إليها.

يظهر بشــكل باهت خلف النقطتين ما يبدو أنَّه ظلُّ إنســان. همس ماساكي من دون وعي.

«هل هي تلك المرأة؟»

ولكن لــم يخرج منه صــوت. ولم يســتطع النظر بعينــه للمكان بوضوح. اليد التي تمتد لا تصل. ولكن المرأة الآن قريبة منه. تقريبًا إلى درجة استطاعته الإحساس حتى بحرارة جسدها. وكان ذلك مثيرًا أكثر لحنقه. مرَّةً أخرى أصدر ماســاكي صوتًا، هذه المرَّة حاول أن يتحدث

إلى المرأة. فإذا بنبرة عنيفة حزينة تقول فجأة:

「لا تقترب!」

في اللحظة التالية، بعد أن مرَّ بفترة من الوقت مشوَّش الوعي، وجد ماساكي نفسه مرَّةً أخرى جالسًا وحيدًا في منتصف قاعة صلاة الزِن.

لفترة ظلَّ على تلك الحالة شارد الذهن ينظر. يتأمل فقط.

أخيرًا حرَّك نظره قليلًا ثم استمر أكثر وأدار رأسه لتفقد ما حوله بخوفٍ وقلق. ولكن لا يوجد أيُّ شيءٍ غريب. نظر بعد أن أمسك شمعة وأنار المكان. ولكن ليس هناك أيُّ أثرٍ لأيِّ شيء. حتى آلام الجرح اختفت.

لأول مرَّة يحسُّ بالخوف. ثم ومن أجل ذلك، انهارت كلُّ الأفكار في لحظة.

「أنا سقطت واقعًا في وسط الجبل، بل وفي الوقت نفسه أجلس في وسط قاعة صلاة الزِن... ثم في داخل الحلم...」

كلَّما استغرق في التفكير، ازدادت شدة الخوف.

وأخيرًا، وصل إلى سمعه صوت خُفٍّ من القش يمشي في الحديقة.

「أيها الراهب المبجل، أتقول لي: ارحل عن الجبل، رغم معرفتك بحالتي غير الطبيعية هذه؟」

نهض ماساكي وهو يتنهَّد بأسى. فهو على أيِّ حال ينبغي عليه مغادرة هذا المكان في صباح الغد.

عند مروره من قاعة صلاة الزِن وهو يسير في طريقه إلى الكوخ، ألقى ماساكي نظرة على زهور الحديقة.

「مهما كانت الأحلام والأوهام مشكوك فيها، إلَّا أنني لا يمكن أن

أرتاب في جمال تلـــك الزهور المتفتحة هنا بكثـــرة... وكذلك جرح قدمـــي. آه، ولكن رغم ذلك، يا لقوَّة ضوء القمر هذه الليلة. لم يســـبق لي مطلقًـــا أن رأيت قمرًا بهذا الجمال، قمر يبعث على التشـــاؤم بقدر جماله هذا. لونه أحمر، حمرَّة كأنها مصبوغة بالدماء... ربما يوجد تغيّر ما فـــي حلم الليلة... لا، من المفترض أنَّ هناك تغيُّرًا... في شـــيءٍ ما، بالتأكيد...»

وضع يده بهدوء على وجنته التي شحبت فاقدة لونها. أحسَّ أنَّ هنا فقط ما زالت رائحة التربة السابقة متبقية بشكل ضئيل.

❊❊❊

ولكن كلَّما ازداد أمله، فارقه النعاس أكثر فأكثر.

حكَّ ماساكي رأسه في عمق الليل، وهو في مزاج غاضب، ونهض من الفراش بعد أن دفع الغطاء.

الطريق إلى عالم الأحلام مغلقة بسبب التململ الدافئ. علاوة على ذلك، كان ماساكي يتقلَّب في فراشـــه مراتٍ ومرات، وأصبح الذهاب لاســـتقبال النعاس مثيرًا لحنقه، وأخيرًا وبعد تفكير عميق قرَّر النهوض من الفراش وانتظار مجيء النعاس.

كان ســـطح الغطاء مضيئًا. يتسرَّب شـــعاع ضبابي للقمر من النافذة التي تطل على الغرب.

«القمر؟ ....»

نظر ماســـاكي بعينيه إلى ذلك الشـــعاع. ثم وكأنَّ شـــيئًا ما قد أغراه بذلك، هبط إلى مدخل الغرفة، ثم ارتـــدى الخُفَّ المصنوع من القش ووقف أمام باب الكوخ.

كان الباب مفتوحًا قليلًا. ألوان القمر العابقة في الحديقة، وكأنها قد حلَّت غطاء قرطاس الرائحة الفواحة فدخـــل العطر من بين الفراغات وأحاط بماساكي. كانت الذراع الغارقة في عرقها، تلمع بلون أبيض به زرقـــة وكأنها تمثال ثلج. مع تخبّطه في ضباب الظلام، فتح الباب فتحة أوســـع وخرج متجهًا نحو الحديقة. عندها وقف ماساكي متجمدًا من النشوة التي وقع فيها لفترة بسبب المشهد الذي ظهر أمام عينيه.

كان ذلك المنظـــر على الأغلب كافيًا جدًا للشـــكِّ في كونه حقيقة واقعة.

في الســـماء ذات اللون الرمادي الغامق، لا يوجد أية غيوم بالمرة، ومعلَّـــق فيها مِرآة مســـتديرة تتألَّق لامعة وتحيط بها هالـــة. كان القمر بالفعل قـــد تخلَّص من ذلك اللون الأحمر الغريـــب الذي كان يصبغه منذ قليل، وكان منظره لا يمكن أن يســـمح بـــأن يصطبغ بأيِّ لونٍ آخر إلَّا لـــون الذهب الخالص. والنجوم التـــي جعلته مركزها تتلألأ في قبّة الســـماء وكأنها تختلس النظر متلصّصة من فتحات صغيرة لا نهائية تم ثقبها جميعًا في السماء، الليل يحتجز الأشعة الممتلئة في الأفق البعيد بطبقة الظلام مرَّة واحدة.

برز شكل الجبل وســـط هذا الضوء غير العادي إلى الأمام من دون أن يغرق في الظـــلام، وكأنَّه صورة مطبوعة على ورق. كانت الأخاديد ضبابية خافتة كأنها صُنعت بعناية بواسطة الأصابع. ذلك الظلُّ البسيط الذي أخفى عمقه، بدأ تدريجـــاً في الذوبان مع الظلام كلَّما اقترب من المكان، يُفتقد لمرة، وثم يرتفع فجأة بـــارزًا من القاع، ليغيِّر منظر غابة أشجار البلوط المزروعة أمام عينيه.

الحديقــة، محمية بالغابة الواقعة خلفها، وتفعل ما تشــاء بأشــعة القمر التي تبدو كما لو كانت تهطل أمطارًا ودخانًا. تنتشر أوراق زهور السوسن والسحلبية ذات الألوان الزاهية، وكأنها ستنشطر، وبرزت في الظلام في ذات اللحظة التي يبدو أنها ستظهر فيها مصقولة، كزينة محار اللؤلؤ. أغصان شــجر الورد الخضراء، وهي تخفي بحذر في أعماقها اهتزاز الفروع الزاهرة، وكأنها تســتمتع بخيانة ألوان الأزهار المتفتحة بعنفوانٍ واضطراب لها. أوراق نبات الشاي لامعة. زهور الفجل متفتحة بعددٍ لا نهائي. تدلَّت ســنبلات الأرز العديدة في شــكل أقواس كأنها أسراب الســمك التي تجمَّعت على أنوار سفن الصيد تقفز على سطح الماء بعد أن علقت في شــباك الصياد، امتدَّت أوراقها ثانية مســتقيمة، وكأنها رذاذ متناثر. بــل وتلك الأوراق والزهور، إذا أخذتَ أيَّ واحدةٍ منها وتأمّلتها ستجدها كبيرة الحجم بدرجة غير عادية وأوراقها غليظة.

الأعشاب والأشــجار ترتوي بأشعة متألِّقة عميقة. لا يوجد أيُّ شكٍّ فــي أننا في الليل. ولكــن، المكان مضيءٌ ومشــرقٌ ويتلألأ إلى درجة تُشــعرك بالشكِّ في ذلك. هدوء تام، لا يُســمع أيُّ نوعٍ من الأصوات. التيار الذي كان يتدفَّق بعنفــوان، متوقفٌ في تلك اللحظة، كلُّ النباتات التي في الحديقة، تبدو كأنَّ كلًّا منها تحافظ على أقصى ما لديها من نمو.

استنشق ماساكي الهواء بعمق ثم بدأ السير.

ارتجّ الهدوء، وكأنَّه سطح ماء اضطرب بسبب مركبة صغيرة، يفترق في سكينة ثم ينسحب ببطء تاركًا ذيوله.

لا يوجد ما يفكِّر فيه بشكل خاص. فقط يفكِّر أنَّه بمجرد سيره هائمًا على وجهه، بعد فترة ستنشــأ لديه الرغبة في النوم. سار منجذبًا بسحر

وجمال الزهور، ومع تقدمه في السير ناحية الجهة الأكثر ازدهارًا منها، وجد ماساكي نفسه فجأة يقف خلف قاعة صلاة الزِن أمام الكوخ. وهناك انتبه أخيرًا لمكان وجوده.

بالطبع، هذه هي المرَّة الأولى التي يزور فيها ماساكي هذا المكان. في البداية، ولكي يظلَّ محافظًا على وعده مع إينيو، بذل جهده حتى لا يقترب من هنا. ولكن سرعان ما أصبح ذلك أمرًا طبيعيًا، وتقهقر الوعد نفسه إلى مساحة خارج نطاق وعيه.

لا يُرى حول الكوخ تقريبًا أيٌّ من مظاهر الحياة. الأنواع المختلفة من الحشائش والعشب نمت حتى وصلت إلى ما فوق الركبة. لا يوجد للمبنى أية نوافذ، وفي ظلِّ نبات اللبلاب الزاحف على الجدران، توجد عدة ثمرات من فاكهة ما تبدو وكأنها عيون لطيور جارحة.

هذا المنظر المهيب، لسبب ما غير معروف أيقظ لدى ماساكي شعورًا بالحنين. والعجيب أنَّه شعر وكأنَّه قد جاء إلى هنا من قبل عدة مرات.

تقدم ماساكي إلى الأمام أكثر وهو يمشي فوق الحشائش بحذرٍ شديدٍ كي لا يصدر عنه صوت.

منذ قليل وصورة المرأة العجوز، التي لم يسبق لماساكي أن رآها من قبل، تمرّ داخل قلبه. سبب عدم توجه ماساكي بقدمه إلى هنا حتى الآن، شعور الشفقة الذي يشعر به بنقاء خالص تجاه المرأة العجوز، أكثر من رغبته في الحفاظ على وعده للراهب إينيو. لأنَّه يعتقد أنَّ أقل ما يمكنه عمله من أجلها هو تركها تعيش تلك الأيام الموحشة بمفردها.

ذلك الشعور لم يتغير قيد أنملة حتى الآن. فلا يشعر ماساكي مطلقًا

بأية رغبــة في التلصّص لرؤية العجوز. ورغم ذلــك، تتقدم في الواقع تتقــدَّم خطوة بعد أخرى مقتربة من الكوخ. هناك قوَّة ما لشــيء ضخم يعرقل شعور السيطرة على النفس عن الرسوخ في أعماقه بشكل كامل.

«هل يا ترى تلك هي أحد أنواع الرغبة الجسدية المشوَّهة؟»

تقدَّم أكثر، وعندما وصل إلى الباب الخلفي للكوخ، أخفى ماساكي جسده فجأة حذرًا عندما سمع صوتًا ما. فُتح باب الكوخ وشعر بطيف شخصٍ ما يخرج منه.

«هل هو الراهب المبجَّل؟»

ظلَّ ماســاكي مختفيًا في الظلِّ، منصتًا، فجاءه صوت وطء الأرض الجافة بخُفِّ القشِّ. أصوات الأقدام الواهنة تلك، ليست للراهب إينيو. ولكن المسافة الزمنيّة التي بين كلِّ خطوةٍ وأخرى، والتي يخطوها بحذرٍ بالغ، كانت توحي كأن السائر يمشي وهو يتلفَّتُ خائفًا من شيء ما.

«...لا ليس هو... ليس هذا هو الراهب إينيو المبجل.»

لقد عرف ماســاكي على الفور أنَّ تلك هي أصوات خطوات المرأة العجوز. ثم وبســبب عدم قدرته على تحمل وجــوده هناك، ارتجف جسده رغمًا عنه.

كان صدى صوت الخطوات يبدو بائسًــا لدرجة كبيرة. ماساكي في ذلك الوقت، كره مرَّةً أخرى برودة مشاعره. المرأة العجوز تختبئ حتى من عيون إينيو فتنتظر حتى ســاعة متأخرة من الليــل، لكي تخرج من كوخها وهي في حالة تردد وحيرة. في هــذا المعبد البوذي الكائن في وســط الجبل والذي يندر فيه وجود أثر للبشر، تنزوي المرأة في كوخ مظلم طوال اليوم، فقط لتنتظر في هدوء وسكينة زيارة الموت لها. ولاً شــكَّ أنها قد بلغت المنتهى في اســتغنائها عن أشعة الشمس منذ فترة

بعيدة. أو ربما هي تجد قليلًا من المواساة في تأمُّل القمر كلَّ ليلة. على كلِّ حال، ما يجب قوله هو إنَّ التلصّص لرؤية ذلك المنظر بسخرية، هو فعلٌ في غاية الوقاحة والنذالة.

سقط ماساكي فجأة صريع الشعور بالكآبة والحزن، فبدأ في السير عائدًا في الطريق التي أتى منها وهو منكَّس الرأس. ثم هجمت عليه مرَّةً أخرى المشاهد الحية نفسها التي شاهدها عندما وقع صريعًا في وسط الجبل.

ذاب الليل الوهمي سريعًا في الليل الحقيقي، ليصبحا الليل نفسه. ماساكي ومن دون أن يشعر أنَّه قد استيقظ من النوم، وجد نفسه واقفًا بجوار الكوخ. ثم فجأة أحس من خلفه أنَّ صوت قماش الحزام وهو ينحلّ قد لمس عظام أذنه.

نظر إلى الخلف وهو يرتعد وَجِلًا.

ابتلع ذلك الصوت الخافت الضئيل في لحظة واحدة كلَّ العجائب الأخرى، وانحل تمامًا مع الملابس.

「هذه ليست المرأة العجوز. أجل ليست المرأة العجوز على الإطلاق... قطعًا. آه... نعم، إنَّه هذا الكوخ، إنَّه هذا المشهد. لماذا لم أنتبه لذلك حتى الآن؟」

أطبقت الكلمات على ماساكي. وبعد ذلك سمع صوت وقوع الملابس على الأرض، وصوت خلع خُفِّ القش.

أخرج ماساكي زفيرًا طويلًا مرتين أو ثلاثة مرات. ثم في اللحظة التالية، وكأنَّه قد أصبح غير قادر على التحمل نظر من خلف ظلال الكوخ وعلى مدِّ البصر.

「آه!」

تسرَّبت تنهيدة أسى بلا صوت.

أصابت النشوة القلب وكأنها مسحوق الزهور الذي بعثرته الريح.

***

ما من شك. الذي يتألَّق تحت أشعة القمر التي تأتي من بُعدٍ لا متناهٍ، هو الجسد العاري للمرأة الذي استمر في رؤيته عدة ليالٍ متتالية.

وكأنَّ سـدًّا قد تهدم، اندفع تيارٌ عنيفٌ للفرحة المؤلمة التي تشـبه الكرب، دائرًا داخل الجسـد. أخذ ماسـاكي يعصر بعنف لحم صدره مسـتخدمًا يده اليمنى كما لو أنَّه إذا لم يشارك ذلك الألم بألمٍ ما آخر، فهو لن يقدر علـى تحمّله. ارتفعت نبضات القلب. وهو يتنفس لاهثًا، وقد برز ذقنه للأمـام. منطقة العنق ذات البشـرة البيضاء التي تعرَّت، عكست هالة القمر، وبرزت إلى الأمام وكأنها تمثالٌ منحوت من حجر الألاباستر.

أولت المرأة ظهرها لماسـاكي، ووضعت يديها ببطء على شعرها. الأصابع الرقيقة، تقوم بتجديل ذلك الشـعر، وكأنها تعزف على أوتار آلة قانون. انفلت من بين فتحات الأصابع عدد من الشـعرات، وعندما حاولت أن تلتقط الشعر، تحرك مرفقاها وكأنهما جناحان يرفرفان.

تسـارعت حركة المرأة وكأنها تحاول برشـاقة تقليد ذاكرة الحلم الذي تتابع، بأقصى سـرعتها. لا يوجد أي اختـلاف مطلقًا بين الحلم وبين ما يراه الآن.

أخيرًا وصلت إحدى الركبتـان إلى الأرض، وصبت الماء بحرص فوق الكتف. عَكَسَ الظهر الذي تبلل عن آخره بالماء ضوء القمر.

مسـح ماسـاكي العرق من على جبهته. خوف الانهيار يتلاحق مع

تتابع الحركات المتدفّقة تباعًا.

بعد ذلك أمالت المرأة عنقها في هدوء. وبسـبب ذلك لمع للحظة المشط فوق قمة شعر رأسها المجدول.

وقتها شكَّ ماساكي أنَّ الشيء الذي باعد بينه وبين المرأة في الماضي هو ذلك المشط ولا شيء غيره. وشكَّ أنَّه لو لم يسقط هذا المشط، لمَا انتهى الحلم، ولكانت المرأة قـد التفتت إلى الخلف تجاهه. ثم الآن، والمشـهد أمامه يشـبه الحلم تمامًا، إذا كان هناك شيء واحد يخونه، ويخفي وجه المرأة عنه إلى الأبد، فهو على الأرجح ذلك المشـط، ثم تخيل لو أنَّ ذلك المشط **لا يسقط** من على شعر المرأة.

القمر ما زال حتى الآن مضيئًا. تحت السـماء الساكنة لا يوجد إلَّا المرأة الوحيدة وقطرات الماء تتسـاقط من جسدها، قطرة قطرة، على الأرض.

فكَّر ماساكي في اللحظة المحتوم قدومها وهو يعجن بالعرق الطين الذي دخل في الفراغ بين باطن قدمه والخفّ عدة مرات بالعرق.

وقفت المرأة ببطءٍ بعد أن وضعت الإناء. نظر ماساكي متابعًا حركة المشـط. عنق المرأة مائل بانحراف قليل. شعر الرأس ينتفخ. المشط يهتز.

لم يكن هناك أيُّ شـكٍّ في الشيء المحتم حدوثه بالفعل بعد ذلك. بعد أن جعلت المرأة عنقها رأسـيًا، يقع المشـط لامعًا بجمال متألِّق. يتراقص شـعر الرأس في الهواء. تضع المرأة يدها عليه. ماساكي الذي لم يعد يحتمل الانتظار أصدر صوتًا متعمد بقدمه... عندها، وفي ذات اللحظة التي تـكاد المرأة أن تلتفت إلى الخلـف تجاه ذلك الصوت،

فجأة تحوَّل ما هو أمام ماساكي إلى ظلامٍ دامسٍ وجاف.

... عندما نزع تلك اليد التي غطت عينيه بالكامل، ونظر مرَّةً أخرى إلى الأمام، كانت المرأة قد اختفت بالفعل.

وعندما نظر إلـــى الخلف كان هو الذي يقف فـــي الخلف الراهب إينيو.

❋ ❋ ❋

ارتفع صوت ماســاكي عاليًا مضطربًا بسبب الغضب الجامح الذي لم يجد له مصرفًا.

「أيها الراهب المبجَّل، ما هذا الذي يحدث بحقِّ الســماء؟ هل هذه الشابة الجميلة هي العجوز المصابة بالجذام التي حدثتني عنها؟」

「.............」

「آه... يا لك من راهبٍ ساقط! لم أتوقَّع أن تثير فيَّ مشاعر الشفقة من أجل أن تخفي امرأة!... وحتى رغم ذلك، لماذا؟... لماذا؟... لا أفهم، ولكن من الأفضل لك ان تحافظ على هذا الصمت. فبعد أن عرفتُ أنها ليست عجوزًا لن أتوقَّف حتى أدخل الكوخ وأتأكَّد منها بعيني هاتين!」

عندما كان ماساكي على وشك التحرك أجابه إينيو في هدوء.

「لا تدخل!」

「لا تدخل؟ أتنصحني؟ هل تعتقد أنني يمكن أن أثق في كلماتك بعد الآن؟ هل من المحتمل أن أصغي إليك؟ لن أصدق أيَّ كلمةٍ منك بعد الآن. لن أصدقك مطلقا!」

ماســاكي الذي بلغ به الانفعال مداه دفع إينيو الــذي حاول منعه، واقترب من باب الكوخ. وعندها:

"لا تدخل!"

اندفع صوت المرأة ليخترق السكون مثل رمح.

"آه .... أرجوك لا تأتِ إلى هنا. أرجوك استمع لما يقوله لك الراهب المبجل. فالراهب المبجَّل ليس بالشـــخص الــذي تظنّ. لا يجب أن ألتقي بك أبدًا. فأنا..."

قالت المرأة ذلك، ولم تسـتطع التحمل فتســرَّب منها النشــيج. ماســاكي الذي نســي حتى نفســه مع عنف مشــاعره، احتار مع ذلك الصدى المرهف الجميل.

"لماذا يا ترى؟ هل تقولين إنــك لا تعرفيني؟ لا تعرفين من أنا؟... لا، هذا لا يُعقل! إنني أعرفــك، أعرفك منذ زمن بعيد جدًا. فأنتِ التي أراها بشكلٍ مستمرٍ في أحلامي كلَّ ليلة، أنتِ التي أهيم بها عشقًا! منذ يومي الأول هنا وأنا أرجو لقاءكِ بشـــدة، منـــذ ذلك اليوم الذي لدغني فيـــه الثعبان وحُملت إلى هنـــا. لا، ربما قبل ذلك بكثيـــر، ربما ظللتُ ألاحقك، ألاحقك أنتِ فقط! ثـــم الآن بعد أن أصبحتِ حقيقة واقعة، ولم تعودي وهما، لم تعودي ساكنة الأحلام فقط. لماذا لا يجب عليَّ أن أسعد بهذه المعجزة؟"

"من فضلك، أرجوك، كفى، توقَّف ولا تقل أكثر من ذلك... بالطبع أنا أعرفك جيدًا. ولأنني أعرفك جيداً، فإن معاناة هذا اللقاء ســتكون أكبر وأعظم!... أنا كما المتوقع، لا يجب ولا ينبغي أن أقابلك. أرجوك اســتمع لكلام الراهب المبجل وارحل عن هذا الجبل... لو مكثت هنا أكثر من ذلك، فسأحقد عليك... بالتأكيد، أكثر مما هو حالي الآن..."

غابت عن ماســاكي الكلمات التي يجب أن يـــردَّ بها وظلَّ واقفًا لا

يتحرَّك. ثم وسورة غضب التفت إلى الخلف ورفع صوته المتألِّم تجاه الراهب إينيو الذي ظلَّ واقفًا في صمت.

「أيها الراهب المبجل! لماذا؟ أنا لا أفهم شـيئًا... آه... أجل لا أفهم أيَّ شيءٍ... أيّ شيء!」

ظل إينيو غارقاً في الصمت ولم يحر جوابًا.

「أيها الراهب المبجل!」

「لا يجـب عليك أن تجعـل تاكاكو تعاني وتتألَّـم أكثر من ذلك... حسـنًا، أريدك أن تغادر هذا المكان في الغـد. عليك ألّا ترفض. هذا الأمر لستَ من يقرِّره.」

ماساكي، بسبب اليأس، لم يجد كلامًا يردّ به اليأس، وسقطت ركبتاه منهارتين فلمستا الأرض. إينيو كذلك لم يكن يبدو عليه أنَّ لديه ما يقول أكثر من ذلك. الليل هادئٌ تمامًا، فقط نشيج المرأة يتردَّد صداه خافتًا.

الصباح ما زال بعيدًا. الماء الذي أنسـاب على جسـد المرأة أمام الكوخ يلمع عاكسًا صورة البدر اللامع.

سـقطت نقطة ماء أخرى من حافة حصيرة الخيزران. فاهتز سـطح الماء في سكون.

* * *

في صباح اليوم التالي كان الطقس جيدًا ومشمسًا.

ماسـاكي بعد أن رحـل من جبل 「أوسـن داكه」، خرج إلى جسـر هياكوتشـو ولم يتجه من هناك إلى طريق كوهيجي، ولكنه بدأ السـير متجهًا إلى الطريق المؤدية إلى نيشيكومانو.

لقد افترق عـن إينيو بالفعل بعد أن نزلا سـويًا من الجبل. وعندما

افترقا قال ماساكي له كلمة شكرٍ بأدبٍ بالغٍ متضمنةً اعتذاراً عما حدث في الليلة السابقة. ولكن إينيو ضم كفّيه فقطٍ وظلَّ صامتًا.

فــي منتصف طريقه نحو كوتاني، بعد أن مرَّ على المقابر في ســفح الجبل، وعندما كان يحاول ماساكي إحكام عقد رباط الخُفِّ الخلفي، وضــع إحدى ركبتيه على الأرض. وفي تلك اللحظة وهو يضع حقيبته بجانبه، هجمت فجأة الأوهام السابقة الذكر عليه.

كان ذلك بالنسبة لماساكي أمرًا غير متوقع على الإطلاق.

فماساكي كان يســعى، بصعوبة، للنجاة من تلك الحالات العجيبة التي تعتري جســده حتى اليــوم، فقط عندما يفكر فيهــا مرتبطة بذلك الجبل. وليس فقــط الهلاوس بمفردها. حلم المــرأة كذلك، والتغيُّر الذي يصعب تصديقــه لمناظر الحديقة، كان المفتــرض أنَّ كلَّ ذلك سببه يعود إلى الجبل. كلُّ تلك الأشياء مرَّت به تماماً بسبب وجوده في ذلك الجبل. لم يكن يوجد بشكل خاص برهانٌ مؤكدٌ يجعله يفكِّر بهذا الشكل. ولكنه فقط، لأنَّه لم يستطع فهم كلَّ تلك العجائب العديدة التي حدثت معًا واحدة بعد أخرى، فكَّــر في الاعتماد على دمجها كلَّها في عجيبة واحدة كبيرة.

على أيِّ حال، ما يُســمى عجيبة، تكون عجيبــة بحق عند مقارنتها بالحقيقة. مثلًا، إذا تفتَّحت زهرة مشمش على شجرة كرز، فتلك عجيبة. لأنَّ الحقيقة هي أنَّ أشــجار الكرز تتفتَّحُ عليها أزهار الكرز. مثالٌ آخر، إذا عاشــت الطيور داخل الأرض وطارت المناجذ في الســماء، فتلك أيضًا عجيبة من العجائب. لأنَّ الحقيقة هي أنَّ الطيور تطير في الســماء والمناجذ تعيش داخل الأرض. ولكن ماذا لو كانت هناك عجيبة واحدة

كبرى تجعل تلك الحقائق، أشياء لا معنى لها من الأصل؟ وقتها، على الأرجح سيعتقد الإنسان أنَّ تلك العجائب الفردية، ليست عجائب في حد ذاتها. والسبب، أنَّ الحقائق التي يمكن مقارنتها بتلك العجائب الفردية غير موجودة ولا يمكن القياس عليها.

أصاب ماساكي الملل من الشكِّ في العديد من العجائب التي مرَّت عليه كلّ واحدة على حدة. ولذلك، حاول نسبها جميعا إلى ذلك الجبل. فعلى الأرجح هو لن يستطيع بحث كلِّ عجيبةٍ على حدة ودراستها ليصل في النهاية إلى تفسيرٍ يؤكدها ويعترف بها كلَّها. ولكن مع هذا، وما دامت قد حدثت بالفعل على أرض الواقع، فليس لديه سببٌ مقنعٌ لنفيها. ولهذا السبب بالذات فكَّر أن يجعل تفسيرها جميعًا هو ذلك الجبل. في الأصل، لو استطاع الجبل أن ينفي **حقيقة** وجود الظواهر الفردية، ثم حتى لو حدثت تلك الظاهرة، ففي النهاية يمكن اعتبار أنها ليست من العجائب. وعوضًا عن الإيمان بعدد كبير من العجائب، سيكفي فقط الإيمان بعجيبة واحدة. وهذا لا يحتاج إلَّا إلى جهد ضئيل. تختار أحد الخيارين، إما أن تؤمن أو لا تؤمن. وقد اختار ماساكي أن يؤمن.

ولكن إحدى تلك العجائب التي من المفترض أنها تنتمي إلى العجيبة الكبرى، تدحرجت الآن من هناك لتلاحق ماساكي الذي يسير في طريقه. وكان ذلك يعني بالنسبة له أنَّ كلَّ العجائب قد تحرَّرت من لعنة الجبل.

أصاب ماساكي خوفٌ شديدٌ. فمنذ ذلك الوقت وآلام القدم تعاوده، حتى بعد عودته إلى الواقع.

حسنًا، كان سبب إحجام ماساكي عن فكرة الاستمرار في السفر، والبقاء في كوتاني هو آلام القدم تلك، وأيضاً، بسبب الصداع الذي بدأت بوادره تلوح مرَّةً أخرى. عندما وصل إلى كوتاني أصيب ماساكي على الفور بحُمَّى مفاجئة، ورقد كما هو بحالته تلك في فراش النُزُل.

كانت الحمَّى خفيفة وضعيفة. ولكن، حتى بعد مرور عدة أيام، كانت حرارته مرتفعة لا يبدو أنها ستنخفض مطلقًا، بل على العكس كانت حالته الصحية تزداد سوءًا.

جسده لم يعد يتقبَّل أيَّ طعامٍ تقريبًا. مع مرور الأيام بدأ جسده يذبلُ ويضعف، وفجأة بدأت تظهر دماء ممزوجة بقيحٍ على قدمه التي كان من المفترض أنها شفيت من المرض.

أخيرًا، مالكة النُزُل وبعد أن راقبت حالته لثلاثة أيام تقريبًا، أمرت عاملة لديها باستدعاء طبيب. يوجد في تلك القرية طبيبان منذ عدة سنوات. ولكن الطبيبين اللذين تم استدعائهما لم يتمكنا من تشخيص المرض الذي أصاب ماساكي. كلاهما أنهى الكشف الطبي من دون توضيح اسم المرض، وجعلا الأمر مبهمًا، ورغم ذلك، في النهاية، وبنبرة من يحرص على عدم فتور همته أضافا:

«الأمر ليس خطيرًا، ولكن يجب أن تظلَّ هنا لبعض الوقت ترتاح بهدوء.»

كانت الغرفة التي أُعطيت لماساكي تقع في الركن الغربي الجنوبي بالطابق الثاني. تقريبًا لا يوجد نزلاء في هذا النزل، جميع العاملات وكأنهن لا يجدن ما يعملنه، فكن يقمن بتمريضه بنشاط وحيوية طوال اليوم.

فـــي الليلة الأولى التي قضاها هنا، عرف ماســاكي أنَّ حلم المرأة، مثله مثل الهلاوس الأخرى، قد هبط معه من الجبل. ولكن المنظر كان مختلفًا عن الســابق، كان بعيدًا ضبابيًا، بل ويزداد ضبابية يومًا بعد يوم. وبصفــة خاصة، في الليلة التي أمره الطبيــب أن يتناول فيها دواءً منومًا كعلاج للأرق، حجب عنــه حلِم المرأة النوم العميق كما لو كان ضبابًا كثيفًا.

ظلَّ ماســاكي يلاحق ذلك الجســد الجميل المثير الــذي يفتقده تدريجيًا ناسيًا، وهو يلاحقه، ذاته نفسها.

ومن جهة أخرى، أصبحت الهلاوس المرئية التي ارتبطت بالجبل، تظهر له عند وسادته أكثر من ذي قبل، وكانت تمتد أيضًا لفترات طويلة، وتسلب زمن الواقع الذي غادره النوم شيئًا فشيئًا.

عندما يســتيقظ من نعاســه في الفجر، كثيرًا ما يتأمل ماساكي قمر الليل المتبقي في الصباح وهو مايزال يحتضن بقية الحلم الذي رآه منذ قليل، ويعاود التفكير في الأيام التي قضاها في الجبل.

كان ذلك وكأنَّه حلم واحد طويل. في وقت الغروب بذلك المعبد، عندما يشبِّه نفسه بلا معنى بطفل 〖أسطورة أوراشيما〗، يعتقد أنَّه لا يجب أن يكون موجوداً في مكان آخر ســوى ذلك الجبل. ولكن الآن وبعد أن هبط من الجبل بهذا الشــكل ها هو يعيش داخل الزمن الطبيعي مرَّةً أخرى مثلما كان في الماضي. لا بل على الأقل هو يعيش وســط عدد كبير من الناس الذين يعيشــون الزمن الطبيعي. وكان يعتبر ذلك الأمر بشكل ما عجيبة من العجائب.

〖... يقــال حلمًا، ويقال واقعًا، ولكني في النهاية أشــعر أنَّ كلاهما

وكأنهما الأوهام نفسـها. في تلك الليلة، رأيتُ تلك المرأة بالتأكيد في عالم الحقيقـة وليس الحلم. رأيتها بعينيَّ هاتين اللتين من لحم ودماء. ولكن عند إعادة التفكير ألا يمكن، كما هو متوقع، أن يكون ذلك أيضًا وهمًا غير حقيقيا؟

لقد كانت المرأة جميلة فعلًا إلى درجةٍ تطابق شكلها في الهلاوس. كان ذلـك نوعًا من الجمال الذي لا يمكن أن يكـون موجوداً في هذا العالم. ولكن ربما كان الجسـد الذي رأيته أنا، أثناء النشوة هو الجسد العاري للعجوز المجذومة كما قال الراهب المبجل.

أنا لا يمكن أن أنسـى فضـل الراهب عليَّ. كلَّمـا أصبحت هادئًا كانت هيئته تلك تزداد رفعةً ونقاءً وتبتعد بعيدًا في عمق الجبل العميق. كان يلفني حنينٌ طاغٍ تجاه ذلـك. لقد اندفعت مع فورة الغضب ونعتّه بالراهب الساقط، ولكني الآن نادم على ذلك.

وإنما لا يمكن لي أن أصدِّق، مهما كان، أنَّ الشـخص نفسه يكذب تلـك الكذبة ويُخفي امرأة شـابة جميلة. حقًا كلَّمـا فكرت في الأمر أحتار، فحتى الراهب العظيم إيكِّيو زنجي الذي قيل عنه إنَّه «بوذا حي»، له أبيات شعر ماجنة تتغنى بامرأة الغابة. إذا كان الأمر كذلك فربما يعني أنَّ مـا قمتُ به من جلبة وضوضاء لمجرد وجـود امرأة، هو في النهاية بسبب جهلي بالاستنارة الحقيقية.

ولكن رغم ذلك لا يقنعني الأمر.

لقد قال إنَّ اسمها تاكاكو. منظر تلك المرأة المسماة تاكاكو، ذلك المنظر الذي عرفتُه في أحلامي، هل يمكن أن ينعكس ذلك المنظر في عيني الراهب المبجل ويتحوَّل إلى صورة امرأة عجوز بشـكل مؤكد؟... رغم السِّـباب

والتقريع مني، حتى النهاية لم يدافع الراهب عن نفســه بقول الكذب. ربما ظنَّ الراهب المبجل أنني شخص مجنون. أنا الذي أتأمل عجوزًا بائسة فتثور فيَّ مشاعر الشبق. لو كان الأمر كذلك، فهل صمت الراهب المبجل تجاهي سببه الشفقة؟... آه ولكن. أجل ليكن ما هو كائن؛ أن تكون تلك المرأة شابة وجميلة، أو تكون عجوزًا مجذومة، ما هو يا ترى حجم الاختلاف بينهما؟ ولــو كان كلُّ ذلك في الأصل مجرَّد أوهامًــا، فيكفيني أن أصدق أنا الوهم الذي رأيته. ولا يبقى إلَّا وتصديق تلــك الكلمات التي قالها ذلك الصوت الجميل، تصديق قولها نعم أنا أعرفك..."

في الجو الحار الذي يســبق فصــل المطر، ازداد مزاج ماســاكي السيئ سوءًا. وابتل جَيْب قميصه بالعرق على الدوام، ومهما كرَّر تغيير المنشــفة المبتلَّة من على جبهته، تغرق على الفور في بيئة ساخنة دافئة وكأنها حيوانٌ صغيرٌ يصارع الموت بلا حولٍ ولا قوة. لا يأكل ســوى مجرّد شــيء يشبه حســاء الأرز الممزوج بالقمح مثل المرقة البيضاء، بل هو يتقيأ أغلبه بعد ذلك، ممــا يجعل عظام قفصه الصدري تضربها موجات عنيفة من الاضطراب.

الأحلام والأوهام كثيرًا ما تجتاح الواقع، ومؤخرًا، أصبحت ساعات اليــوم التي يكون فيهــا بوعيه الواضح هي الأقصــر. هجمت الأوهام والهلاوس على ماســاكي مراتٍ عديدة حتى أمام عاملات النزل. أثناء إحــدى تلك الهجمات تصــادف وأنَّه كان كمن أصيــب بنوبة صرع، فصرخــت عاملة النُزُل المرتبكة التي كانت ترى ذلك لأول مرة، منادية على مالكة النزل، وجمعت النزلاء وتحول الأمر إلى ضجَّة كبيرة.

"حتى الآن، أنا لازلتُ أخاف من ذلك الأمر وأستدعي مالكة النُزُل.

حقًا، فأنت تكون وكأنك على وشـــك الموت بالفعل. ولكن العاملات الأخريات يقلن إنهن قد اعتدن على ذلك."

عندما تحدثت معه عاملة النُزُل الشابة بهذا الشكل لم يجد ماساكي إلَّا أن يضحك بلا حول ولا قوة. والسبب أنَّه ظلَّ يفكِّر أن من الأفضل أن يتعجَّـــب الناس منه لظنِّهم أنَّ به صرعٌ، على أن يشـــعروا بالتقزُّز منه بسبب معاناته وتقلُّب جسده أثناء مواجهة أوهامٍ غريبة وغير طبيعية.

ولكن بعد أن أضافت عاملة النُزُل ما يلي.

"ولكن رغـــم ذلك فتكرار الأمر في وقت قصير يجعلني بالتأكيد في غاية القلق... علاوة على ذلك، الجميع في حالة قلق شـــديد على حالة قدمك." فإن ماساكي لم يستطيع مواصلة الضحك.

والحقيقة أنَّ جرح الساق كان قد تقيَّح، وأصبح ماساكي لا يستطيع مجرد السير من دون الاعتماد على عكَّازة.

لم تكن عاملات النُزُل فقط هن من يمرِّضن ماســاكي. بل المالكة كذلك كانت تأتي لزيارته في غرفته مراتٍ عديدة، وتســـأله عن حالته، وتمســـح عرق جبهته بنفســـها، وتحمل الملعقة بيدهـــا إلى فمه. تلك المـــرأة الناضجة التي تنم أرنبة أنفها النحيفة ذات الطراز القديم، ومقلة عينها الكبيرة بشكل لافت والغارقة في قاع محجرها، عن شدة جمالها في شـــبابها، عندما تلمس جسد ماساكي المكشوف عند الجَيْب، فجأة تشعر وكأنها تلمس شـــبابها الذي مضى. تحوَّل ذلك الآن إلى ما يشبه الفرحة الســـرّية. ويكمن سبب بقاء ماساكي في النُزُل من دون تذمُّر من أحد رغم مرضه الطويل هذا، في تلك الفرحة التي تحسُّها مالكة النُزُل، بالإضافة طبعًا إلى شعور التعاطف معه.

حسنًا، كان ذلك في إحدى الليالي بعد مرور حوالي أسبوعين على

مجيئه إلى النُزُل.

في فجر ذلك اليوم، حتى قبل أن يستيقظ ماساكي تمامًا، غرق في تلك الهلاوس المعتادة، ولم يعد إلى الواقع مطلقًا حتى حلول العصر ذلك اليوم. وحتى لو قلنا إنَّه اعتاد على تلك النوبة، إلَّا أنها كانت المرَّة الأولى التي يفقد فيها الوعيَ لهذه المدة الطويلة، مما جعل حتى مالكة النُزُل نفسها تقلق، فجمعت العاملات، ودعت طبيب القرية، وحدثت ضجة هائلة لفترة من الوقت داخل النُزُل كما حدث من قبل.

الطبيب الذي جاء على عجل، كان يحرِّك عنقه أكثر من مرَّة متعجِّبًا أثناء الكشف عليه. ثم تأكَّد من النبض مرَّةً أخرى، وبعدها نظر إلى الخلف تجاه مالكة النُزُل مندهشًا. في ذات اللحظة انفتحت فجأة جفون ماساكي على آخرها وكأنها فقاعة صابون انفجرت فجأة. فرفعت عاملة صوتها قائلة «آ...».

- «آه، خيرًا... خيرًا، لقد أفَاق... لقد أفَاق.»

تسرَّبت أصوات الارتياح والاطمئنان من أفواه جميع المحيطين بالفراش. وماساكي ذاته كذلك استجاب لهم تقريبًا من دون أن يعرف أيَّ شيءٍ وقابلهم بابتسامة. ولكن فقط الطبيب الذي كان لا يزال قابضًا على رسغه، عقد حاجبيه في ارتياب، وابتلع الكلمات التي كان على وشك التفوّه بها لتوّه بحرصٍ وحذرٍ وأخفاها في قاع معدته.

حتى بعد أن غادر الطبيب المكان، ظلَّ وعي ماساكي يعود إلى الواقع حينًا، ويغرق في قاع الهلاوس والأوهام أغلب الأحيان. ثم ها هو الآن أخيرًا، قد أصبح وعيه مؤكدًا إلى حدّ ما، نظر من نافذة النُزُل شاردًا إلى مكان خارج النزل.

حتى اليوم، كان يحصي ليالي القمر كلَّ ليلة، الليلة الثامنة عشر،

التاسعة عشر، العشـــرين، كان ذلك الظلُّ قد اختفى بالفعل هذه الليلة. وامــرأة الحلم كذلك، أخيــرًا أصبحت بعيدة وضئيلــة، مثل ذكريات الطفولة، لا تتذكَّر منها سوى القليل.

حتى في داخل الهلاوس كان ماســاكي يفقد وعيه عدة مرات، وفي كلِّ مرَّة كان يلمح جزءًا من جســد المرأة. وعندما عاد إليه وعيه، وجد نفسه راقدًا وحيدًا في وسط الجبل. ثم بعد ذلك عاد وعيه بدرجة أكبر، عندها وجد نفسه مستلقيًا على وجهه في فراش النُزل.

في كلِّ مرَّة يعود إلى الواقع، يندهش ماساكي بشدة من سرعة مرور الزمــن. رغم أنَّ الوقت الذي يقضيه في الجبل لا يزيد عن بضعة دقائق بحدٍ أقصى، ولكنه عندما ينتبه، يجد أنَّ عشــرات الدقائق والســاعات قد مرَّت. حاليًا الوقت الذي يقضيه فــي الحلم، والوقت الذي يقضيه في الجبــل، والوقت الذي يقضيه في الواقع، متشــابكين مثل الخيوط المُعقَّدة معًا، وتقريبًا لا يستطيع فصلهم عن بعضهم البعض.

«حتى الوقت الذي أكــون فيه غارقًا في التفكير بهذا الشــكل، هل يمكن أن يحدث أن أنتبه فجأة، لأجد نفســي في مــكانٍ مختلفٍ تمام الاختلاف؟ وســط الجبل؟ أو أمام كوخ المرأة؟ أو ربما في مكانٍ بعيد لم أزره من قبل؟...»

أثناء تفكيره هذا، عندما تغضَّنت ملامح وجهه للحظة بســبب آلام ساقه الحارة، فُتح باب الغرفة بهدوء.

«آه... معذرة... كان يجب أن أســتأذن في الدخول. كنت أظن أنك نائم بالفعل. وكنت أريد أن أُلقي نظرة عليك من دون إيقاظك.»

«لا عليكِ. لا مانع لدي.»

أظهر ماساكي القليل من بشاشة الوجه تجاه كلمات مالكة النُزل.

«هل تمانع في دخولي؟»

«لا، بالطبع لا أمانع.»

«فعلا؟ لقد قلقنا جدًا عليك في فترة النهار... ولكن الطبيب قال إنَّه يجب عليك الراحة والاسترخاء.»

«لقد تسبَّبت في إزعاجكم كثيرًا.»

«لا... مطلقًــا، لم يكن قصدي قول ذلك ما فهمته. ابق هنا كما تريد من دون أن تشغل بالك بنا. فلقد حصلنا منك على الثمن الذي دفعته لنا مقدمًا من أجل ذلك.»

قالت مالكة النُزُل ذلك، ثم أبدت ابتسامة مطمئنة.

أخفض ماساكي رأسه قليلًا. وقال وهو ينظر إلى الخارج مرَّةً أخرى:

« .... آه .... لكن يبدو أنني قد أصابني الإرهاق كثيرًا. لأنني ظللت مستلقيًا على الدوام.»

«لا مانع من ذلــك. ارقد كما تشــاء. الجو اليوم أكثــر اعتدالًا من المعتاد، وهو مناسب جدًا كي تستريح فيه.»

مرَّةً أخرى رقد ماساكي على الفراش بمساعدة مالكة النزل.

وضعت مالكة النُزُل على جبهته منشــفة كانت أخذتها من إناء الماء وعصرتهــا لتوها. تضافرت تلك البرودة مع هــواء الليل الرطب الذي يهبُّ من وقت لآخر، وأعطيا لماساكي راحة ولو بقدر بسيط للغاية.

صدر صوت خافت جدًا من بين شفاه مالكة النُزل.

«.... سيد إيهارا!»

فتح ماساكي جفونه.

「هل تمانع لو سألتُ عن أشياء قليلة؟」

الشمعة التي كانت قبل قليل بين يديها أصبحت الآن تتألَّق على حافة وسادته، وتنير قليلًا وجه مالكة النُزُل البعيدة عنها. أُخذ قلب ماساكي بمساحيق وجهها البسيطة التي لا تختلف عن المعتاد.

「ما هي تلك الأسئلة يا ترى؟」

「لقد سمعت أنك يا سيد إيهارا قد صعدت إلى قمة جبل 「أوسن داكه」 قبل مجيئك إلى هنا...」

「أجل، وماذا في ذلك؟」

「لا شيء مطلقًا، ليس بالأمر الهام... ولكن ألم تلاحظ شيئًا غريبًا في طريقك؟」

「... لا، لم يكن هناك ما يسترعي الانتباه.」

لقد دُهش ماساكي قليلًا وكأنَّه أُخذ على حين غرَّة، فأجاب، متعمدًا، بهذا الرد الحذر. ماساكي لم ينبس ببنت شفة لأيِّ إنسانٍ بما حدث له حتى الآن من حوادث غريبة.

「... حقا؟」

قالت مالكة النُزُل ذلك، ثم ابتسمت وهي تمسح بيدها على قُصّةِ شعرها الدائرية التي انهار شكلها كأنها تقريبا تستنكر سؤالها بنفسها. أثار ذلك اهتمام ماساكي.

「هل يوجد شيء بعينه يثير انتباهك؟」

「... لا، ولكنه أمر لا أهمية له حقًا. هل قلت إنك من طوكيو يا سيد إيهارا؟ لو سمعت هذه الحكاية لربما تسخر متعجِّبًا من خرافات الريفيين...」

«خرافات؟»

«... نعم. ألا يقال عنها كذلك؟»

«لو تفضلتِ... هل لك أن تُسمعيني بعضاً تلك الحكايات؟»

بعد أن ابتســـمت مالكة النُزُل مرَّةً أخرى، أظهرت بعضًا من شعور الحيرة والتردّد، أخذت المنشـــفة من على جبهة ماساكي، غطّستها في الماء البارد، رغم أنها لم تكن قد ســـخنت بعد إلى هذه الدرجة، داخل الإناء الرطب المصنوع من خشب السرو المنعش، كان القماش الأبيض يتحرَّك ويهتز في الماء وكأنَّه سمك «الأيو».

« ... حقًا كيف لي أن أبدأ.»

بعد أن عصرت المنشـــفة بقـــوَّة وطوتها بعناية إلـــى عدة طبقات، وضعتها مرَّة ثانية على جبهة ماساكي. من خلال المنشفة أحسَّ ماساكي براحة يد مالكة النُزُل تضغط على جبهته برفق. قطرات الماء التي بقيت على الحواف، انسابت قليلًا مارة بأرنبة أنفه ثم مالت إلى اليمين فسالت على محجر العين.

ماســـاكي وقبل أن تزيل مالكة النُزُل يدها من على جبهته، تعمَّد أن يقول هذه المرَّة بنبرة فيها شيء من الحميمية:

«أنا، ولأننـــي أرقد على الفراش طوال النهار، لا أســـتطيع النوم في الليل بسهولة.»

جعلت مالكة النُزُل تلك حجة لكي ترفع يدها عن جبهته، ثم قالت:

«... حسنًا، ما دمت يا سيد إيهارا تقول إنك لن تنام... ستكون حكاية طويلة، ولكن تفضل بالاستماع وأنت مسترخٍ ومغمض العينين.»

ثم ظهرت من طرف الكيمونو قدم بيضاء عدّلت من وضعها.

❊❊❊

هذه الحكاية مرَّ عليها خمسة وعشــرون عامًا تقريبًا. لقد كنتُ في حوالي الخامســة أو السادسة عشر من العمر، أعتقد أنني كنتُ في تلك الســنِّ تقريبًا. في تلك الفترة كانت حملــة القضاء على البوذية وتدمير معابدها في أوجها، وتُنفَّذ على قدمٍ وساق. هذه القرية أيضًا، انتشر فيها جــوٌ كئيبٌ مظلم. وقتها، وفي منتصف الطريق المؤدية من بلدة كوتاني إلى أوبارا، كان هناك نُزُل صغير. أنا أيضًا أتذكَّره جيدًا. كانت هناك فقط مالكةٌ وعدد صغير من العامــلات، وكان الزوج يعمل في ناحية مدينة شينغو. لم يكن يوجد في هذه المنطقة نُزل، إلَّا نزلنا وذلك النُزُل فقط، ولــذا كانت بيننا علاقة جيِّدة، وأنا مثلًا كنت في طفولتي كثيرًا ما أذهب هناك للّعب، وكانت مالكة النُزُل تطعمني من حلوى عجين الأرز.

كان يوجد في ذلك النُزُل فتاة تكبرني بثماني ســنوات، وكان اسمها أوتاكــي. وكنــت دائمًا أنادي أوتاكــي هذه، أختي الكبــرى... أختي الكبــرى، وكانت ذات جمال أخَّــاذ، إلى درجة أنَّ النــاس في القرى المجاورة كانــوا يقولون مازحين إنَّ الزبائن يجيئــون للمبيت في هذا النُــزُل من أجل أوتاكي... أجل، بالطبع لم يكــن ذلك مزاحًا فقط، بل بالفعل يبدو أنَّ العديد من الزبائــن كان يفعل ذلك. وأنا منذ أن وعيت على الدنيــا، كنت أذهب كثيرًا للّعب معها، وكانت تراعيني كما لو أنها أختــي الكبرى حقًا، في العادة، عندما تتعوَّد على شــخص تتعوَّد على جمال وجهه فلا تلتفت إليه، ولكن رغــم ذلك كنت كلَّما ألقاها أفاجأُ بذلــك الوجه الرائع الجمال. بالطبع لم يكن الوجه فقط رائعًا. أيُّ جزءٍ فيها كان جميلًا حقًا وكأنها أميرة من أميرات البلاط. وفوق ذلك كانت

هادئـــة، طيِّبة القلب، ولم يســبق لي أن أحسســـت بالكراهية ولو لمرَّة واحدة تجاه أختي الكبرى تلك، آه أقصد أوتاكي...

... ولكن، عندما أتذكَّـــر الآن، فبمقدار ما كانـــت أوتاكي جميلة، كانت وكأنها يائســـة وحزينة بشـــكل ما، وإنما ذلك لم يكن مثلًا لأنها دائمة المرض أو أيُّ شـــيءٍ من هذا القبيل... ولكن... ماذا يمكنني أن أقول... فأنـــا لم أكن أدرك تمامًا ما يحدث، فقط، كان ذلك إحساسًـــا مًا، ليس إحساسي أنا فقط، فالجميع كان لديهم الإحساس نفسه، وكان بعض الناس يعلنون ذلك في الظلِّ مستخدمين كلمات مليئة بالشرِّ مثل «إنها شؤم»، أو «مثيرة للغثيان».

حتى هذه اللحظـــة لا أفهم لماذا كان الجميـــع يعتقدون ذلك. في العادة وباســـتثناء جمالها الأخَّاذ، لم يكن بها أيُّ شـــيءٍ غير طبيعي... ولكن، لا أعرف، ربما كان ذلك بسبب بشرة أوتاكي شديدة البياض.

على كلِّ حالٍ كانت هـــذه هي صفات الفتاة التي تُســـمى أوتاكي. وعندما أتذكَّر هذا الأمر وأفكِّر فيه، كانت تلك الصفات واحدة واحدة تُنبئ بمصيرها المؤســـف في النهاية، وأنا أتكلَّـــم بهذه الطريقة، أحسُّ بشكل ما بعدم القدرة على التحمُّل.»

أغلقت مالكة النُزُل فمها مُتأسّية.

كان ماساكي يســـتمع لها صامتًا. كان حديثها بلكنة إقليم العاصمة طوكيـــو التي تتميَّـــز بها توتســـوكاوا الغريبة عن هـــذه المنطقة، وكان الصدى غير المعتاد على ســـمعه يسهل التآلف معه. والكلمات كذلك كانت راقية، تختلف عن كلمات باقي النساء اللائي يضفن اللازمة «حقا» في آخر الجملة فـــي لهجة هذه القرية، وربما كانت صاحبة النزل تفعل

ذلك مراعاة لماساكي.

كان لهب الشموع يهتز داخل الغرفة بهدوء.

لا صوت لأقدام العاملات في الطابق السفلي...

「تلك الفتاة أوتاكـــي، نعم... بالضبط عندما تخطَّت العشـــرين من العمر، في أحـــد الأيام، اختفت تمامًا بعد خروجها من البيت. على أيٍّ حالٍ في ذلـــك اليوم كانت قد ذهبت إلى الجبل لاقتطاف زهورٍ تضعها في غرف النـــزلاء، ولكنها لم تعد إلى النُزُل حتـــى بعد حلول الظلام. وبالطبع، الأهل والجيران وحتى النـــزلاء، الجميع أصبح قلقًا لغيابها، وذهبوا للبحث عنها في كلِّ مكانٍ رافعين أعواد المشاعل.

وبالطبع أنا أيضًا ذهبت معهم. كانـــت ليلةً مظلمةً تمامًا بلا قمر... الحقيقـــة أنني وقتها كنت قد كبرت قليـــلًا، ورغم قولي ذلك فقد كنت كما ذكرت منذ قليل لم أبلغ بعد الخامســـة أو السادسة عشر من العمر، وكانـــت عادة الذهاب كلَّ يومٍ إلى بيت أوتاكـــي واللعب معها كما في الماضي قد انتهت، وكنا، تقريبًا، قد أصبحنا مبتعدين عن بعضنا البعض، ورغم ذلك فعندما سمعت الخبر، لم أســـتطع الاحتمال، وأتذكَّر أنني رافقت الكبار وذهبت للبحث عنها وأنا أبكي.」

... في ذلك الوقت فتحت إحدى العاملات باب الغرفة فجأة.

「آه... سيدتي هل أنت هنا؟」

「ماذا حدث؟ لماذا سكتِّ فجأة؟」

「لا شيء... ولكن اليوم هو دوري في المناوبة.」

منذ أن ساءت حالة ماساكي الصحية وكل ليلة تقوم إحدى العاملات بالمجيء بهذا الشـــكل لتفقد حالته. مالكة النُزُل أحســـت نوعًا ما، أنَّ

شخصًا قد تلصَّص على حياتها الخاصة، فتعكَّر مزاجها قليلًا.

「لا عليكِ، اذهبي واستريحي.」

「... فهمتُ. المعذرة.」

بعد أن رحلت العاملة أحسَّت مالكة النُزُل ببعض الحرج، فقالت:

「لأنني كما ترى لا أُحْسِـــن تعليم العامــلات، فالجميع هنا بلا تربية ولا أدب.」

ثم قال ماساكي وكأنَّه يراعي مشاعرها:

「هل يأتي أحد دائمًا لتفقد حالي؟」

「أجل... ولا مانع لديَّ من ذلك.」

بعد أن قالا ذلك سكت الاثنان لفترة.

بعد مرور وقت قصير تحدَّثت مالكة النُزُل مرَّةً أخرى.

「... إلى أين كنت وصلت يا تُرى؟... نعم... نعم، في النهاية لم يتم العثور على أوتاكي في تلك الليلة.

في اليوم التالــي، ظللنا نبحث، وقــد اجتمع عددٌ أكبــر من اليوم الســابق، ولكن لم نعثر لها على أثر. بهذا الشــكل بدأنا تدريجيًا نسمع شــائعاتٍ بغيضة. إنَّ إله الجبل قد اختطفهــا، أو أنها ماتت بالفعل في مكان ما... وأعتقد أنَّ أمَّها كانت تعاني بشــَّدة كلَّما سمعت شائعةً بهذا الشكل.

ولكن في صباح اليوم الرابع مــن البحث... آه، نعم هو كذلك، مرَّ عــددٌ من الليالي بلا قمرٍ، وأخيرًا في صباح الليلة التي ظهر فيه الهلال، بعدما مرَّت ثلاث ليالٍ منذ اختفائهــا، عادت فجأة لمنزلها. عادت من ذلك الجبل الذي تقول أنت يا سيد إيهارا أنك تسلقته.」

「هل تقصدين جبل 「أوسن داكه」؟」

「أجل، هو كذلــك... أمها ومرافقيها الذين خرجــوا فجرًا للبحث عنها، وجدوها فجأة... وفي البداية كانت فرحتهم عارمة...」

「وبعدها؟...」

「آه... ولكن، بعدها... يبدو أنَّ بقاءها بمفردها وسط الجبل، أصابها بالرعب والهلع، فأصيبت نفســيتها بشيءٍ غريبٍ نوعًا ما... أجل، على أيِّ حالٍ لم تعد أوتاكي شخصًا طبيعيًا منذ ذلك اليوم.

لقــد رأيتُ أوتاكي بنظــرةٍ خاطفةٍ عندما عادت إلــى النُزُل محاطةً بالنــاس. كان وجهها قد شــحُب ونحف، وفي النهايــة، كان قد ازداد شــحوبًا عن ذي قبل، وبدت هائمة يائسة كما لو كانت شبحًا أو حلمًا. إننــي حتى الآن أتذكَّر بوضوحٍ منظر أوتاكي الذي برز وقتها في أشــعة شمس الصباح. لا يمكن التعبير بالكلمات عنه. كانت على ما يبدو في غاية الإجهاد والتعب، ورغم ذلك كانت كما المتوقَّع في غاية الجمال. ولكن الذي يجعلني لا يمكن أن أنسى منظرها وقتها، هو أنها كانت آخر مرَّة أرى فيها أوتاكي. لم أرها بعد ذلك ولو لمرَّة واحدة. وقتها التفتت أوتاكــي نحوي، وقالت: يا ياتشــان، ثعبانٌ كبيرٌ... ثم ابتســمت. لأنَّ اسمي ياســوكو فقد كانت أوتاكي تناديني دائمًا هكذا... الأمر الغريب هو ذلك الشــقُّ الخاص بالثعبان. أنا بشكل ما ارتعبت وأجبتها بقولي: ماذا؟ عين أوتاكي وقتها كانت حمراء ومغرورقة بالدموع، وكأنها على وشــك البكاء في التوِّ والحال، ورغم ذلك كانت وكأنها تبتسم، كانت متألِّقة في جمالٍ وحزنٍ وأسىً إلى درجةٍ لا يمكن وصفها.

عندما سمعت أمها كلمة ثعبان، أسرعت بالمجيء وشقَّت صفوف

المتحلِّقين حولها واصطحبت أوتاكي في عجلة إلى داخل المنزل.»

... صمتت مالكة النُزُل لبرهــةٍ وأخذت قطعة القماش البيضاء من على جبهة ماساكي ببطءٍ شديد.

«سأبرّدها لك ثانية» قالت.

سمع ماساكي صوت عصر المنشفة بين يديها. وتوقَّف فجأة صوت الضفادع التي ظلَّت تنعق بحيوية خارج النافذة، وكأنها اندهشـــت من ذلك الصوت الخافت الضئيل. من بعيد، كانت طيور الوقواق مستمرَّة في الصياح. نفضت مالكة النُزُل أطراف أصابعها على نحو خفيف من أجل أن تسقط عنها قطرات الماء المتبقية داخل الإناء.

بعد أن أعادت مالكة النُزُل المنشفة لموضعها سألته:

«هل تفضِّل النوم؟»

«لا .... أكملي باقي الحكاية.»

رفع ماساكي نظره إلى وجه مالكة النزل. كانت بوادر الحزن والكآبة قد أطلَّت على هاتين العينين. بعـــد لحظة وبعد أن أومأت قليلًا بميل، بدأت مالكة النُزُل تتحدَّث ببطء.

«... بعد ذلك، لم أجد الفرصة لمقابلة أوتاكي، لأنَّ أبويّ حرَّما عليَّ زيارتها في مرضها، ولأن أوتاكي، من الجهة الأخرى، مُنعت منعًا تامًا من مغـــادرة البيت. وعرفت بعد ذلك أنها منذ يـــوم عودتها من الجبل وأوتاكـــي تؤمن أنها حملت طفلا من الثعبـــان. منذ أن عُثر عليها وهي تردد ذلك مـــرَّة بعد مرة... وربما أن ما كانت تحاول أن تخبرني بقولها «ثعبان كبير»، أعتقد على الأغلب أنها كانت تقصد هذا الأمر.

إذا كان الأمر كذلك، فلو قلنا إنَّ ســـبب حبســـها في داخل المنزل

وحرمانها من الخروج، هو إحســـاس أهلها بالشفقة عليها، لكان ذلك غير صحيح. وربما ساعدت تلك المشاعر في حدوث ذلك، ولكن كان هناك ســـببٌ أكثر أهمية من ذلك... وهو أمرٌ فـــي غاية الغرابة... فبعد مرور فترة من الوقت بدأت بطن أوتاكي تنتفخ بالفعل.

بعد أن علم أبوها، الـــذي كان يعمل في مدينة شـــينغو، بالنبأ، عاد على عجل. بالطبع لا الأب ولا الأم صدَّقا أنَّه ابن الثعبان. ولكن عندما تحمل أوتاكي طفلًا بالفعـــل، فيبدو أنَّ الأمر الذي يكون فيه الكثير من المنطقية بشـــكل ما... اختطفها أحد الأشرار، بالتأكيد، ثم اغتصبها في مكان ما، وقالوا إنَّه مـــا دام هناك طفلٌ، فبالتأكيد لـــه أبٌ، لذلك ظلّوا يحاصرون أوتاكي بالأســـئلة عنه. ولكن مهما كرَّروا السؤال كان الردُّ الذي لا يتغير وهـــو أنَّ ثعبانًا كبيرًا قد أحاط بهـــا... هكذا كان جواب أوتاكي الذي ظلّت تكرره.

وبهذا أصبح الأب نفســـه في النهاية غريب الأطوار، بســـبب حزنه على ابنته وحقـــده على الرجل الذي فعل بها ذلـــك، فترك عمله تمامًا واعتكف مع أوتاكي داخل النُزل...

على كلِّ حال، الجميع جعل أمر حمل أوتاكي ســـرًا، ولكن عاملةً شـــابةً في النُزُل أفشـــت الأمر هنا وهناك، وبذلك دار الخبر على ألسنة العديد من الناس في هذه القرية. ولـــو لم يحدث ذلك، فإن الأمر كان سيُعرف إن آجلًا أو عاجلًا، فعلاوة على أنَّ أوتاكي كانت شهيرة بجمالها الأخّاذ، كان الأب أيضًا قد ظلَّ لفترة من الزمن يصيح في أيِّ رجلٍ يمرُّ فقط من أمام النُزُل بغضب شديد، قائلًا له هل أنت الذي اختطفت ابنتي وذهبت بها إلى الجبل؟

***

«... بعد مرور الوقت، في النهاية اكتملت شـــهور الحمل، وولدت أوتاكي بعد اســـتدعاء قابلة لتوليدها داخل النزل. وسمعتُ أنها كانت بنتًا في غاية الجمال تشبه أوتاكي كثيرًا.

حتى تلك الفترة كانت أوتاكي كما هو متوقَّع ما زالت مريضة بعقلها، ولكن على ما يبدو الطفلة الوليدة لم يكن بها شيء من ذلك.

كان حقد والدي أوتاكي على والد الطفلة شديداً ولا حدّ له ، ولكن عندما يَرُيان تلك الابتسامة الطفولية البريئة، فيبدو كانا يتأثّران بشدة... وفي النهاية قرَّر الاثنـــان أن يقوما بتربية الطفلة مـــع مواصلة إدارتهما للنزل.»

«هل ما زال ذلك النُزُل موجودًا إلى الآن؟»

سيطر فضول شـــديد على ماساكي جعله يســـأل مالكة النُزُل ذلك السؤال بعفوية.

لم يزاوله أيُّ شـــعورٍ بالنعاس مطلقًا. الهلاوس التي اســـتمرت في النهار إلى درجةٍ كبيرة،ها هي الآن تُخفي ظلَّها وكأنها تنتظر لكي تنتهي تلك الحكاية.

ينساب الواقع بهدوء وتأنٍّ.

«لا، هو الآن غير موجود.»

«غير موجود؟»

« لقد أصبح مصير تلك العائلة مأسويًا...

بعد ولادة الطفلة اســـتمر الحال لفترة من دون حدوث تغيير. ولكن في أحـــد الأيام نظرت أوتاكـــي إلى الطفلة التي فتحـــت عيونها أخيرًا

وفجأة ارتفع صراخها واضطربت اضطرابًا شديدًا.

ولم تمل من تكرار تلك الكلمة التي جاءت على لسانها وقتها، إذ عندما رأت أوتاكي عين الرضيعة، مرَّةً أخرى ظلت تكرِّر صارخة أنَّ الثعبان اغتصبها، وأنَّ الطفلة ابنة الثعبان وغير ذلك من أقوال، وتصرخ 〚أنا خائفة... أنا خائفة〛 وهي تبكي.

كما علمت وقتها هدَّأت أمها بشكل ما من روعها...

ولكن في الليلة نفسها خرجت أوتاكي من البيت بمفردها وألقت بنفسها من فوق صخرة عالية لتسقط في نهر توتسوكاوا.

كانت ليلة طقسها حارٍ رطب يطلُّ في سمائها بدرٌ كامل الامتلاء كبير الحجم أحمر اللون...〛

بعد أن حوَّلت مالكة النُزُل نظرها ببطء شديد، نظرت إلى خارج النافذة. يُسمع منذ لحظات صوتٌ خافتٌ للغاية لجريان نهر مختلطًا مع صوت الضفادع.

شكَّ ماساكي في ما سمعه. ولكن عندما أنصت، سمع علاوة على ذلك أصوات طيور الرفراف من العمق.

〚نهر توتسوكاوا؟〛

... ولكن المسافة حتى نهر توتسوكاوا بعيدة إلى درجة كبيرة جدًا.

تحدَّث ماساكي متجهًا إلى مالكة النُزُل التي ظلَّت كما هي صامتة.

〚ها هو صوت الضفادع المعتاد، ولكن هل الذي يرافقه هو صوت الطيور المائية؟ يصيحون بشدَّة منذ مدة، أليس كذلك؟ هل هناك نهرٌ قريبٌ من هنا؟〛

ظهرت الدهشة على وجه وهزَّت رأسها بالنفي. ثم ضحكت بشكل مبهم وهي تقول 〚هاها〛. تجمَّد ماساكي من الخوف. فلقد رأى من قبل

ملامح الشــكِّ نفسها. ثم وفي الوقت نفسـه الذي تذكر فيه ذلك، انتبه إلى أنَّ صوت ذلك النهر قد أصبح ســريعًا، وصار شيئًا مألوفًا وحميمًا بالفعل.

"إنَّــه الصوت الذي اســتمعتُ إليه داخل الكــوخ الصغير في ذلك الجبل. ثم عندما ســألتُ عنه الراهب المبجل عقــد حاجبيه مرتابًا في ما أقول."

في تلك اللحظة تسرّبت من فم ماساكي كلمة:

"الماء الهادر له صدىً مثل الجواهر."

تعرَّق صدر ماساكي، عرق يشبه دموع الشموع. ولكن على ما يبدو فإن مالكة النُزُل لم تســمع ما قال. أمالت عنقها، واقتربت بوجهها من فمه وسألته "ماذا؟"

ولكن ماساكي حاول خداعها وصرف انتباهها فقال:

"ماذا حدث بعد ذلك لتلك الفتاة التي تسمى أوتاكي؟"

المالكة وكأنَّها قد عاد وعيها إليها أكملت حديثها.

"نعم، ماتت بهذا الشكل. وقد جرفها التيار حتى منطقة أوتسورو.

... بالطبع، ربما كان الأمر مجرَّد حادثًا عَرَضيًّا. فرغم أنَّ المطر كان في ذلك العام قليلًا، ولكن في الأصل هذه المنطقة كثيرة الأمطار، وفي تلك الليلة كان تيَّار ماء النهر في غاية الســرعة. فقد كان ذلك موســم الأمطار[1].

(1) موسم الأمطار: تتميز اليابان عامة بكثرة الأمطار طوال العام حيث يصل متوسط الهطل المطري إلى حوالي 2500 مليمتر سنويا وهو من أعلى المعدلات في العالم. ولكن يوجد بصفة خاصة موسم يسمى موسم الأمطار تكون فيه الأمطار مستمرة على مدار اليوم لمدة تقترب من الشهر ونصف، ويكون هذا الموسم من بداية شهر يونية إلى منتصف شهر يوليو، وبنهايته يُعلن عن بدء فصل الصيف

وأنا أقول ذلك الآن تذكَّرت أمرًا، حصل ربما بسبب مرضها النفسي، فمنذ أن عادت أوتاكي من الجبل كانت تشرب الماء بكميات كبيرة. وإذا لم يمنعها أحد كانت تشرب صاعًا أو صاعين بسهولة. وفي الليلة التي ماتت فيها، كانت تزيد من شرب الماء بدرجة أكثر من المعتاد وهي تقول «إني عطشى، جسدي ساخن»، وهناك من يقول إنَّه ربما يكون هذا هو سبب ذهابها إلى النهر.

ولكن أهل أوتاكي، يعتقدون أنها هي التي رمت بنفسها في النهر، لأنَّ ذلك حدث بعد تلك الأحداث العظام... ثم عند التفكير بهذا الشكل، الرضيعة التي كانوا حتى ذلك الوقت يعتنون بها بحب وحنان، لسبب ما أصبحت موضع حقدهم تدريجيًا، وسبَّبت لهم شعورًا بالاستياء...

ولكن رغم ذلك، صبروا وتحمَّلوا حتى الانتهاء من مراسم الجنازة. في هذه المنطقة الجميع يدفنون موتاهم[1]، ولذا فأوتاكي أيضا تم دفنها في مقابر الجبل المجاور.

شديد الحرارة وشديد الرطوبة أيضًا. وكمية الأمطار في موسم المطر غير ثابتة فتكون غزيرة أعواما وقليلة أعواما أخرى.

(1) دفن الموتى: طقوس الجنازة في الديانة البوذية توجب حرق الجثة. أما في ديانة الشِنتو فيتم دفن الجثة. والقرية المذكورة أغلبهم سكانها يدينون بالشِنتو فالأصلَ عندهم هو دفن الجثث وليس حرقها. في بداية عصر ميجي وبسبب محاولة جعل الشنتو هي الديانة القومية لليابان، صدر مرسوم حكومي في العام السادس من حكَم ميجي (1873) بمنع حرق الجثث. ولكن بسبب المعارضة الشديدة للجماعات البوذية وتفضيل الهيئات الصحية للحرق وكذلك بسبب قلة مساحات الأراضي في اليابان، صدر بعد عامين أي في العام الثامن لحكم ميجي (1875) مرسوم يبيح حرق جثث الموتى. والآن أصبح الحرق هو القاعدة الآن بين اليابانيين والدفن هو الاستثناء، وأحد تلك الاستثناءات هي العائلة الإمبراطورية التي تدفن جثث وفياتها كما هي من دون حرق.

وأنا كنت حزينـــة، حزينة جدًا، وظللت أبكي من دون أن ألقي نظرة علـــى جثمانها، ولكن فقط أتذكَّر جيدًا وجه أمها الذي نحف إلى درجة بشعة للغاية.

بعد انتهاء مراســـم الجنازة أيضًـــا، ظلَّت أمُّ أوتاكـــي ترعى الطفلة الرضيعة، ولكن يبـــدو أنها أصبحت عنيفة معها بدرجة كبيرة... وحتى الجارة التي كانت ترضعها مع أطفالها، عندما رأتها حذّرتها عدة مرات، وفي كلِّ مرَّةٍ يحدث عراكٌ بينهما.

ويبدو كذلك أنَّ والدة أوتاكي كانت كثيرًا ما تنســـاب من فمها لمن حولها عبارات مثل «عيون هـــذه الطفلة مقززة». وتقول إنها عندما تنظر إليها تصاب بألم في الصدر ورغبة في القيء. وعند السؤال عن السبب يبدو أنَّ موت أوتاكي لم يكن السبب الوحيد لذلك.

أنا لا أعلم تفاصيل القصـــة بالكامل، ولكن تصادف في تلك الفترة أنَّ أحد الرهبان الرحَّل جاء إلى النزل، نعم، في بعض الحالات النادرة جدًا يأتي رهبانٌ من طائفة شوغندو إلى هذه المنطقة، بعد انتهاء تدريبهم الروحـــي... ورغم قول ذلـــك إلَّا أنَّ ذلك الراهب علـــى ما يبدو كان وضعه مختلفًـــا... أجل. عندما رأى الراهب عيون تلك الرضيعة، يبدو أنَّه قال إنها عيون ســـامة... على كلِّ حال، إذا سمعنا ما قال بالتفصيل، فهي عيون في غاية الرعب، إذا نَظَرت إلى شـــخص، فهي تضرّه ضررًا شديدًا، أو ربما تقتله.

لم يكن والدا أوتاكي من يؤمنان بالخرافات، ولكن كما هو متوقَّع، بسبب ما حدث لابنتهما أوتاكي، وبالإضافة إلى أنَّ الأم لن تكن حالتها الصحية على ما يرام، لذا، وللأســـف، صدَّقا ما قاله الراهب. وقدَّما من

العطايا الشيء الكثير جدًا وطلبا منه قراءة كتب السوترا المقدسة عليها.

... بعد ذلك، ولفترة ما لم يحدث شـــيء. ولكن بعد مرور حوالي سنتين، ماتت الأم فجأة... ماذا يمكن أن أقول؟ بالطبع بسبب ما حدث لأوتاكي، وما تلى ذلك من أحداث جعلتها تظلُّ متعبة نفسيًا وجسديًا، هذا عدا عن أنَّ صحة الأم من الأصل لم تكن جيِّدة.

كان الذي تأثّر من جــرَّاء ذلك هو الأب الذي أصبح وحيدًا... وقد أصبح الأب في حالة رعب شديدة من الطفلة، فأخذ يقول "أنا لا أريد أن أموت الآن"، ولا أعلــم من أين جاء بهذا الكلام، ولكنه قال إنَّه إذا كان هناك شيء به ضرر، وتم لفُّ ذلك الشيء بجلد ذئبٍ، سيختفي ضرره، ولكـــن لأنَّه لم يكن يملك جلد الذئب ذلــك، غطّى وجه الطفلة بجلد خنزيرٍ بريٍّ عوضًا عنه، ولم يكشف منه إلَّا الأنف والفم فقط.

حقًا، الإنســان عندما يضطرب عقله يقوم بأفعــال مرعبة لا يمكن تخيُّلها. ولكن في تلك الأثناء انتشــرت في القرية الشــائعات، ولذا لا يمكن القول إنَّ الأب فقط هو المخطئ. وربما كان الأمر بالنسبة لرجلٍ متعلمٍ مثلك يا ســيد إيهارا يبدو أمرًا أبلهًــا، ولكن هذه القرية كائنة في وســط الجبال... على أيِّ حــال، بالإضافة إلى موضــوع عين الطفلة الضارة بالطبــع، عاد الناس إلى الماضي، وإلــى حادثة فقدان أوتاكي عقلها في الجبل، فتواترت بينهم حكايات مثل الأحلام وكأنها حقائق، مثل أنَّ إله الجبل حقد عليها لشــدَّة جمالها، أو على العكس من ذلك، أنَّ ســبب حملها هو أنَّ إله الجبل قد عشقها وظهر لها في صورة ثعبان وضاجعها، وغير ذلك من شائعات... وســط تلك الجلبة والفوضى، بالفعل أعتقدُ أنَّ الأب فقد تمامًا قدرته في الحكم على الأمور بشــكل

صحيح.

في القريـــة، كان هناك من يُحدث ضجةً وجلبـــةً، ويعبث من أجل الاستمتاع فقط، ولكن لم يكن الجميع ذوي مشاعر باردة بهذا الشكل. ولـــذا تحوَّلت الطفلة، بهذا المنظر الذي يدعو للأســـى، إلى ما يشـــبه الشيء المعروض في المحلات؛ يأتي الجميع للنظر إليها، عزم الجميع على عمل شـــيءٍ ما من أجلها. ولكن عندما يفكِّرون في ما يمكن فعله، لا تتفق آرائهم. كان لدى الجميع، على الأغلب، التفكير نفســـه؛ يجب إقناع جدُّ الطفلة بنـــزع القناع عن وجهها. ولكـــن لأنَّ فعل الجدِّ، من الأصل، لم يكن فعل عقلاء، فعند الوصول إلى مرحلة التفكير في كيفية إقناعه، كان كل واحد منهم يقول قولًا مختلفا عن الآخرين.

ظهر من قال: «فلنذهب جميعًا ومعنا الطفلة إلى معبد جبل تاماكي، وأخذ البركة لطرد الأرواح الشـــريرة من جسدها.»، كان ذلك من الآراء القليلة العقلانية نوعًا مًـــا. ومنهم من قال: «النفقأ عينيها من قبل أن تعي الطفلة الدنيا.»، وهناك من تطرَّف في العنف والوحشـــية وقال: «فلنقتل الطفلة الآن لأنها لو عاشت بهذا الشكل فلن ترى السعادة أبدًا.». ورغم ذلـــك، الأغلبية من الناس كانوا في ريب مـــن أمر العيون الضارة تلك، ويفكِّرون أنها ســـواء كانت كذلك بالفعـــل أم لا، فإنه من الأفضل نزع القناع عن وجهها ولو بالقوَّة. ولكـــن، في الواقع، لم يحاول أحدٌ فعل ذلك. رغم أنهم يعرفون من حيث المنطق والعقل استحالة وجود ذلك التأثير للعيون. ولكـــن عندما يتذكَّرون أمر أوتاكي ويتذكرون أمر أمها، يقولون: ربما وممكن.»

***

"أثناء ذلك، وفي أحد الأيام جاء إلى القرية أحد الرهبان، وهو راهبٌ آخر يختلف عن الراهب الذي تحدَّث عــن العيون الضارة. ويقال إنَّه كان فـــي الماضي من أهالي هذه المنطقــة، ولكن المعبد البوذي الذي كان يتعبَّــد به تم حرقه في حملة "القضاء علـــى البوذية وتدمير المعابد" الشـــهيرة، ومن وقتها خـــرج ليجوب البلاد البعيـــدة في رحلات حج وتعبُّد.

الراهب الذي ســـمع بالحكاية، توجَّه إلى نُزُل الجدِّ وشاهد الطفلة. ولكن الجدَّ عندما رأى عظمة وجلال الراهب ربما أحسَّ بالخجل ولم يستطع إبلاغه بالحقيقة، وخطر له في التوِّ والحال أن يكذب عليه، فقال له إنَّه يضع قناع الجلد على وجه الطفلة لأنها مصابة بالجُذام. والسبب هو الخوف من انتقال المرض إلى شخصٍ آخر.

بالطبع لم يســـمع أحد مـــن قبل بهذه الطريقـــة الفظَّة للعلاج، ومن المفروض أن يدرك المســـتمع على الفور أنَّ الجـــدَّ يكذب، ولكن لا أدري كيـــف فكَّر ذلك الراهب، قال: "إذا كان الأمر كذلك فهناك خوفٌ من انتقـــال المرض إليك أنت أيضًا، لذا فأنا أريـــد أن آخذ هذه الطفلة معي."

... ويبـــدو أنَّ الأهالي الذين تجمَّعوا لمشـــاهدة ما يحدث تعجَّبوا لقـــول الراهب، ولكن الجدَّ بعد أن فكَّر فـــي الأمر، وافق الراهب على طلبه.

وكان ذلك، حســـب اعتقاد الأهالي، أمـــرًا جللًا، لذلك ظلَّت تلك الحكايـــة مثار حديث الناس في القرية لفترة من الزمن. في نهاية الأمر، لم يرِد أحدٌ من سكان القرية أخذ الطفلة ورعايتها، ولذا قال الجميع إنه

إذا كان الجدُّ موافقًا على ذلك فليكن. ولكنهم رغم ذلك قالوا للراهب إنَّ الجدَّ حاليًــا ليس في حالةٍ عقليةٍ طبيعية، فربما وبعد مرور وقت ما، وبعد عودة عقله إلى حالته الطبيعية، ربما جاءك يطلب استعادة حفيدته، فيجب عليك وقتها أن تعيدها لــه صامتًا من دون أيِّ اعتراض. ثم بعد ذلك أضافوا طلبًــا آخر؛ من أجل تنفيذ ذلك يجب ألَّا تأخذها وتذهب بها إلى مكان بعيد، وإزاء ذلك الطلب أيضًا أبدى الراهب موافقته، وقال «إذا كان الأمر كذلك فســأصنع كوخًا صغيرًا داخل ذلك الجبل المطل على القرية.». ... أهل القرية عندما فكروا أنَّ الأمر ســيكون فقط تركها معه لفترة محددة، فكَّروا أنَّ الأمر معقول، علاوة على ذلك، لأنهم كانوا يشعرون في مكان ما داخلهم بما يشبه عقدة الذنب، قالوا إذا كان الأمر كذلك، لنتقبل ما عرضه علينا الراهب المبجَّل، ولننتهز الفرصة ونُنشئ له في موقع حرق الفحم القديم في الجبل كوخًا صغيرًا على هيئة قاعة للصلاة وكوخاً آخر للبنت الصغيرة ونطلب منهما العيش هناك.

... عندما أعــاود تذكَّر ذلك الآن، بعد حملــة القضاء على البوذية وتدميــر المعابد، كان بناء ما يشــبه المعبد البــوذي خصيصًا، هو أمرٌ في غاية العجــب، ولكن وقتها كان الجميع بالفعل متحمِّســين للغاية للتخلص من تلك الطفلة.

بعد ذلك، لمدة طويلة، كان الجميــع يتردَّدون على الجبل حاملين معهــم الطعام والملابس. واســتمر الحال هكذا لمــدة ثلاثة أو أربعة أعــوام. ولكن بعد ذلــك أصبحت زيارتهم للجبل تقــلُّ تدريجيًا. ... عندما كانت في النُزُل كانــت طفلة ذكية للغاية، وكانت قد بدأت تنطق كلمات عديدة مع أنها كانت تتكلَّم بصعوبــة، وبعد ذهابها إلى الجبل

يبدو أنَّ الراهب قد علَّمها فأصبحت تتحدَّث في كلِّ شـــيءٍ وأيِّ شيء، وعندمـــا يأتي إليها زائرٌ من أهالي القرية، تتحدَّث إليه من داخل الكوخ وتسأله بشـــغفٍ عن هذا وذاك من أحوال القرية. يا لها من طفلة تعيسة للغايـــة. ... في الأصل، الجميع لديهم حياتهـــم اليومية، وليس لديهم متســـعٌ وبراحٌ إلى هذه الدرجة، علاوةً على أنَّ صعود الجبل في الشتاء عملٌ شـــاق، فصار الراهب المبجَّل يزرع بنفسه شتلات الأرزّ وغيرها من المزروعات التـــي يمنحها له أهل القرية، وعندها انقطعت الأرجل عن التردد على الجبل تلقائيًا.

ربما تعتقد يا ســـيد إيهارا، أنَّ ذلك الحديـــث قاسٍ لأقصى درجة، ولكن الأب أيضًا مخطئ. فالجميع بذل ما لديه من خزين قليل، وحَمَل الأطعمة للجبل، ورغم ذلك فالعجوز، وحتـــى النهاية، لم يذهب إلى هناك مطلقًا ولو حتى لمرَّة واحدة. فحتى مقتنيات أوتاكي من أمشـــاط وغيرها حمَّلها للآخرين وجعلهم يذهبون بها هم إلى الجبل. ... علاوة على ذلك ومنذ البداية، كان هناك من أهل القرية من لا يوافق على هذا العمل. وحتـــى الناس الذين كانوا يفترض أنهـــم يتردَّدون بجدية على الجبل، أصبحوا يكذبـــون ويخدعون بخصوص ذلـــك، وعندما انتبه الناس، وجدوا أنَّه صارت تمرُّ شـــهورٌ وشهور ولا يذهب أحدٌ للجبل ، في النهاية، ابتعد الناس أكثر وأكثر عن الجبل.

... مرَّت خمس سنوات، فعشـــر، وانقطع الناس تماماً عن الصعود إلـــى الجبل. في تلك الفترة، لـــم يقابل أحدٌ تلك الطفلـــة بتاتًا. ولكن من جهة أخرى بدأت تنتشـــر في القرية شـــائعات ممقوتـــة. فهناك مَنْ يقـــول إنه رأى في أنحاء ذلك الجبل أشـــباحًا، ومـــن يقول إنه صادف

ما يشـــبه العفاريت، وبعد ذلك عندما أصبحت الشـــائعات أكثر غرابة، ظهـــر من يؤكد أنَّ الهاربين من جماعة تن تشـــو جعلوه وكرًا يختبئون فيه. ... وفكَّر الشـــباب، ومّن لا يعرفون أصلًا أمر أوتاكي، ويسمعون تلك الشـــائعات، إذا كانت الطفلة ابنتها فمـــن المؤكد أنها قد أصبحت في منتهى الجمال، فكانوا يحاولون الذهـــاب متتبِّعين الطرق القديمة للتلصص عليها. ... ولكن لســـببٍ ما، يضـــلُّ جميعهم الطريق. وهذا ما، جعل شـــائعةً أخرى تنتشـــر،إذ يُقال إن الفتاة التي أصبحت في سن البلوغ إذا ما مرَّ من أمامها شـــابٌ قويٌ عظيم الهيئة مثلك يا سيد إيهارا، فإنها تسحر البشر والحيوانات لكي تدعوه إلى الجبل ثم تحتجزه أسيرًا لها...

ولأنَّ الوضـــع كان كذلك، وبعد الفيضـــان الكبير الذي حدث منذ ثماني ســـنوات، عندما عُرف أنَّ الأب كان من ضمن الناس العديدين الذين ماتـــوا، كان هناك من أهل القرية من قال إنَّ ذلك ولا شـــكَّ هو انتقام الفتاة التي رماها في الجبل. فبالصدفة، وقبل أيام من هطول ذلك المطر الشـــديد، ظهر ذلك البدر المتوهِّج بالحمرة ذو الفأل الســـيئ، بالضبط كذلك الذي ظهر فـــي الليلة التي ماتت فيها أوتاكي، وبالتأكيد كان ذلك أحد أسباب تفكيرهم بهذا الشكل...

بعد أن همســـت مالكة النُزُل بالجزء الأخيـــر، تقريبًا وكأنها تحدث نفسها، تسرَّبت منها تنهيدة أسىً عميقة. ثم قالت بملامحٍ تمتلئ بالحزن والأســـى، ولكنها الملامح نفسها التي ظلت تخيّم عليها طوال حديثها والتي لا يمكن التفريق بينها وبين ملامح الابتسام.

أنا نفســـي في الحقيقة لا أدري إلى أيِّ مـــدىً يمكن تصديق تلك

الحكاية. فأنا كنت أعرف أمر أوتاكي جيدًا، ولكن ما حدَّثتك عنه الآن أغلبه تم إعلامي به بعد أن كبرت. بالطبع، اعتقد أبواي أنَّه من الأفضل لي ألَّا أعرف وأنا في ســـن الخامسة أو السادسة عشـــر، بأنَّ صديقتي أوتاكي قد حملت بعد خطفها واغتصابها في الجبل.

ولذلك يبـــدو أنَّ القصة التي ســـمعتها أنا، أُضيـــفَ إليها مع مرور الوقت زوائدُ تختلف قليلًا باختلاف الشـــخص الـــذي يحكيها. على ســـبيل المثال، كان هناك من يقول إن الراهب الذي تحدَّث عن العيون الضارة، هو ذاته الراهب الذي اصطحب الطفلة إلى الجبل. وهناك من يقول إنه بعد مرور عامٍ من الصعود إلى الجبل، اختفى الاثنان ولم يعد لهما وجود في الجبل. .... في الواقع، بعد أن سمعتُ القصة، ذهبتُ أنا بنفسي عدة مرات إلى الجبل، ولكن كما يحصل عادة، ضللتُ الطريق، ولم أســـتطع الوصول إلى مكان ذلك الراهب. كان ذلك منذ ســـنواتٍ عديدة مضت. ....

وهنا أخـــذت أفكِّر كثيرًا فـــي الأحاديث التي ســـمعتها من الناس وحاولت تجميعها مع بعضها، ثم أخذت أتذكَّر شـــيئًا فشيئًا ما سمعته وقتها أنا شـــخصيًا بأذنيَّ هاتين، وحكيت تلك القصة لك الآن يا ســـيد إيهارا بشكل يوافق المنطق على قدر الإمكان. هذه أول مرَّة أحكي تلك القصة من البداية إلـــى النهاية. الناس هنا لا يرغبون الآن في تذكُّر تلك الحكايـــة. .... وأنا أثناء تذكُّري الآن لهـــذا وذاك من الأمور، ضغطت على صدري الكثير من الأمور، وبلا وعي تحدَّثت طويلًا جدًا من دون التفكير في حالتك يا سيد إيهارا...

بعـــد أن أنهت مالكة النُزُل قصتها، لم يكن إيهارا يســـتطيع التحمُّلَ

أكثر من ذلك فنهض من الفراش رافعًا ظهره قائلا:

「.... يا مالكة النُزُل اسم تلك الطفلة، هل هو ....」

سـقطت المنشـفة البيضاء من على جبهته وكأنها كتلةٌ من الجليد الذي تراكم بعد هطوله، وانهار من على سقف المبنى.

❋❋❋

「نعم اسمها تاكاكو. .... هل تعرفها يا سيد إيهارا؟」

بعد فترة من تأمّله لوجه مالكة النُزُل مذهولاً قال ماساكي:

「 .... لا، أبدًا...」

ثم رقد على الفراش مرَّةً أخرى.

بعد أن أخذت مالكة النُزُل المنشفة من يد ماساكي قالت:

「لأنك قمت هكذا فجأة، ظننتك تعرفها. ما هو وضعها الآن يا ترى؟ ... ربما تكـون، كما هو متوقع، قد انتقلت للعيـش في مكانٍ آخر من البـلاد، لأن المكان منعـزلٌ في عمق ذلك الجبل ويصعب اسـتمرار الحياة هناك.

... على أيِّ حال، هذه الحكاية، ستُنسى تمامًا في يوم من الأيام، ألا ترى ذلك؟」

「.... هذا ما سيحدث بالتأكيد.」

بدلًا من الإيماء برأسه، جعل جفونه تطرف ذهابًا وإيابًا مرة، وضعت مالكة النُزُل راحة يدها على جبهة ماساكي:

「ما زالت الحمَّى موجودة... لقد أصبح الماء فاترًا، سأذهب لأحضر ماءً غيره」

.... ماساكي الذي أغمض عينيه، وصل إلى أذنه صوت أقدام مالكة النُـزُل على حصير التاتامي مرتين أو ثلاثًا. فُتح الباب بشـكلٍ خجولٍ

للغاية، إلى درجةٍ تجعل المرء يتخيَّل مرور خصرها النحيل منه.

عندما خرجت إلى الممرِّ، سـعلت مالكة النُزُل سعالًا خفيفًا. كان صوتًا جميل البحة، جافًا، مثل ماسـورة الحديقة المصنوعة من أعواد الخيزران بلون أوراق الشجر الذابلة.

* * *

「بمجرَّد هبوطي إلى الطابق السفلي، وجدتُ شيئًا نادرًا ...」

مالكة النُـزُل، التي عادت حاملةً الإناء فـي إحدى يديها، حملقت لفترة بعينين متسعتين لتغيُّر منظر الغرفة.

فلم يكن ماساكي موجودًا في الفراش.

「هل ذهب يا تُرى إلى المرحاض؟」

عندما حاولت فتح الباب، أعادت مسك الشعلة اليدوية التي كانت تمسكها بيدها التي تحتضن الإناء مرَّةً أخرى بيدها الفارغة، ودفعت بها للإمام.

كان غطـاء الفراش الخفيف يبدو وكأنَّه يرقص فوق حصير التاتامي بعد أن تم رميه بقسوة وعنف.

أمالـت عنقها الصغيرة بارتيابٍ على ما يبـدو. في ركن الغرفة كان زي 「اليوكاتا」 ملقىً على الأرض بعـد خلعه. ولكنها لم تنتبه له. عندما أدارت بصرها أكثر من ذلك، ظهرت لها الحقيبة التي تُركت على رأس الوسادة. وهنا لأول مرَّة تشعر مالكة النُزُل بالاطمئنان. ثم أحسَّت فجأة بازدياد ثقل الإناء.

بعد ذلـك دخلت الغرفة ووضعت الإناء، وجلسـت برقيٍّ واضعة سـاقيها تحتها وهي تحرص على عدم انكشـاف طرف الثوب. ما تراه

أمامها هو زهور ملكة الليـــل البيضاء التي تفتَّحت في ذلك اليوم للمرَّة الأولى. تلك الزهور التي وضعها نزيل قبل عدة سنوات، جاء من مدينة أوســاكا، فاعتنت بها مالكة النُزُل ورعتها حتى اليوم محافظة عليها من الذبول.

اســتعادت مالكة النُزُل أنفاســها بقليل من الكآبة وهي تشــمُّ تلك الرائحة الجميلة التي تفوح مع نسائم الليل. ثم وكأنها تنظر إلى مكان ما في الأفق البعيد، ألقت بنظرها على الزهور القريبة منها.

في الوقت القليل الذي مضى اســتولى على قلب مالكة النُزُل حزنٌ لا يمكن التعبير عنه. الأحاسيس الكثيرة التي خفَّت حدَّتها مع الذاكرة، بُعثت أخيرًا من جديد، والتصقت باردة على صدرها.

لم يسبق أن روت مالكة النُزُل قصَّة الفتاة أوتاكي لأحدٍ من قبل. ربما كان الســبب هو عدم مصادفة تلك الفرصة. ولكن فرضًا لو أنها كانت قد حصلت بالفعل على الفرصة فالمتوقَّع أنها بالتأكيد لم تكن لتحكي شيئًا. لم تكن مالكة النُزُل تصدق أنها تستطيع رواية تلك الحكاية حتى نهايتها. فالحديث عن إنسانٍ ميتٍ، يعني أن يتم إبعاد ذلك الشخص إلى الأفق البعيد. أو الاعتراف ســريعًا بأنَّ ذلك الشــخص قد ابتعد بالفعل إلى الأفق البعيد. لم تكن مالكة النُزُل تستطيع فعل ذلك. أو على الأقل كانت تعتقد أنها لا تستطيع فعل ذلك.

ولكن أثناء روايتها الحكاية لماســاكي، تعجَّبــت مالكة النُزُل من أنهــا ترويها **بمهارة** على غير ما توقَّعت. علــى كلِّ حال، كان العجيب أنها اســتطاعت الانتهاء من رواية أحــداث الحكاية حتى نهايتها بتتابع تسلســلها وهي تقوم في بعض الأوقات بشرح إيمان القرويين العميق

بالخرافات والدفاع عنهم. ثم بعد ذلك أصبحت تعتقد بشـــكلٍ أو بآخر أنَّ ذلك عملٌ تافه.

والحقيقة أنها تشـــعر الآن أنَّ منظر أوتاكي الذي تحنُّ إليه قد أصبح بعيدًا جدًا عنها. في مقابل ذلك، الحزن الذي كانت على وشك نسيانه، نبـــع من جديد واختلط مـــع حزنٍ آخر مختلــف، وأطبق على صدرها بشكل لا تستطيع تحمّله.

الظلُّ المضمحلُّ الذي ســـقط على الزهور جعل عيون مالكة النُزُل تبدو حزينة. عندما لمستها بالسبابة عابثةً اهتزت الزهور وكأنها تتمنّع.

كانت تردِّد لنفســـها وتقول إنَّ الشيء الزائد عن الحدِّ في جماله، لا يعيش طويلًا. ثم تذكرت ملامح وجه أوتاكي وهي تقول لها "ياتشـــان! ... ثعبان كبير قام بـ ...". وانهمرت منها الدموع تلقائيًا.

بعد مرور لحظة، انتبهت مالكة النُزُل فجأة إلى أنَّ ملابس ماســـاكي التي مـــن المفترض أن تكون معلقـــة بجوار النافذة غيـــر موجودةٍ في مكانها. وعندها انتبهت للمرَّة الأولى لزي اليوكاتا الذي على الأرض.

التفتت مالكة النُزُل إلى الخلف وهي ترتعش.

انطفأت الشمعة بهدوء قبل أن يكتمل احتراقها تمامًا.

* * *

كان ماســـاكي على وشـــك صعود الجبل وهو يجرُّ قدمه المضرَّجة بالدماء.

فقد جاء ركضًا إلى هنا مباشـــرة بعد أن غادر النُزُل. جاء يجري بعد أن ألقى بعكَّازته التي يتوكَّأ عليها، وهو يضرب الأرض بقدمه اليســـرى مراتٍ عديدةٍ وكأنها فأس.

ظلال قرية كوتانـــي أصبحت بعيدةً بالفعل. السـكون صافٍ. ولا يتـــردَّد في الأنحاء إلَّا صدى صوت خُفِّ القِّــش، وهو يركل الأرض، وصوت أنفاس ماساكي المضطربة.

〝كان يجب ألَّا أغادر الجبل!〞

توقَّف ماساكي ونظر عاليًا إلى السماء من بين أغصان الشجر. القمر غائبٌ عن الأفق البعيد. ولكن حتى هذه اللحظة ينعكس لمعانه المبهر في عيني ماساكي. ينساب على العيون وينعكس وكأنَّه يحاول استكمال صبغها بلون ذهبي ناصع. ذلك التألُّق الغني الذي كأنَّه امتصَّ كلَّ أشعة الأرض وجمعها لنفسه بنفســه. التألُّق البعيد جدًا، البارد، ذو الوحشية التي تواصل إغراء الناس بسرِّية رغم علمها أنَّه لا يمكن لأحدٍ الوصول إليها. التألُّق الذي ينعدم ثم يُبعث من جديدٍ لمراتٍ عديدة. التألُّق الذي يخفي أســرارًا كثيرة جدًا إلى درجةٍ لا يمكــن حصرها وعدّها... تلك المــرآة الجميلة الخيالية ذاتها التي كانت هــي بحقٍ ظهر امرأة الحلم، التي يحاول ماساكي الحصول عليها الآن. في عمق أعماق هذا الجبل السرِّي الهادئ، توجد امرأة تعيش في وحدة، جاعلة عينيها الغارقتين في الموت، تلمعان بريبة. طرفت جفونها ببطء، كفراشة ترفرف بجناحيها، وهي الآن قد ملَّت انتظار وصول الفتى الذي تأخَّر في المجيء.

يرى ماســاكي منظرها ذلك بشــكلٍ مؤكَّد. في الظــلام البعيد، في الحلم الملوَّن نفسه، تبدو بارزة بوضوح.

صعد طريق الجبل في خط مســتقيم. استمر في الركض وهو يفرِّق الأغصان ويمسك الأعشــاب المعلَّقة على الأشجار بيده بعنف. كلَّما تقدم في المســير، ازدادت الأغصان والأوراق كثرة وغزارة، وازدادت

الأشواك حدَّة. تنغرز في بطن قدمه أعواد الخشب الذابلة التي اخترقت الخفَّ المصنـــوع من القشِّ. صدره الذي انفتح عنه الرداء، التصقت به أوراق الشـــجر. ذراعيه اللتان انكشفتا من كمَّيّ الرداء، منقوشٌ عليهما عدد لا نهائي مـــن الجروح، وينضح منهما عرقٌ متســـخٌ يشـــبه الماء الساخن.

أصبح التنفس عنيفًا بشـــكل خاص. يحاول بلع لعابه الكثيف عُنوة، ولكنه يُحتجز وكأنَّ طريقه قد انسدت.

الجبلُ يلاحقه بإلحاحٍ مثل قطيعٍ من الـــكلاب الضالة. مهما أبعده مرَّة بعد مرة، لكنه كان يحاول الإمساك بتلك الساق النحيفة، والغوص بها إلى أعماق الأرض. تلوى وجه ماســـاكي بســـبب المعاناة. تدفقت دماء كثيرة بالفعل من جرح قدمه.

عندما كان يســـتمع إلى حديث مالكة النزل، قبل أن يفكِّر في المرأة الميِّتـــة التي تُدعى أوتاكي، وقبل أنَّ يفكِّر كذلك في أمها، قبل ذلك كلِّه تخيَّل جثته هو نفســـه وهي ملقاة أمام الأقدام الجميلة البيضاء. فكَّر في ســـعادة تلك اللحظة. ماســـاكي أثناء ركضه ارتاب فـــي ذلك الاندفاع الأســـود المشـــؤوم الذي يقوده. ارتاب في ذلك الاندفاع بالغ العنف الذي هجم على الســـدِّ الذي يحتجز حماســـه الراسخ في عمق جسده محطِّمًا إياه، لكي يترك تياره الرئيسي ينطلق بحرية في كامل جسده.

〚هل يا ترى أركض من أجل ملاقاة الموت؟〛

في كلِّ مرَّة يهجم عليه الدوار، يسأل ماساكي نفسه ذلك السؤال.

كان يشـــتاق إلى المرأة بالفعل منذ مدة طويلة. ولكن لم يسبق له أن اشتاق إليها بشدَّة كما هو حاله الآن. والسبب هو أنَّه قد آمن أنَّ الموت

يســكن عيون المرأة كما جاء في حديث مالكة النزل. لأنَّه آمن أنَّ تلك العيون ستخترق روحه في سخونة مثل رماحٍ نارية مسنونة.

〚هل معنى ذلك أنَّ مرادي هو أن أُقتَل؟〛

سأل نفسه هذا السؤال، ولكن ماساكي هزَّ عنقه بعنف. إذا كان الأمر كذلك، فهل استسلم لفكرة أن في ســبيل رؤية وجه المرأة، لا مفر من الموت بواســطة نظراتها تلك؟ لا، هذا أمر مختلف أيضًا. فماساكي لا يتمنى مطلقًا من الموت. علــى العكس هو يتمنى الموت من كلِّ قلبه. بل أكثر ما يخشاه ماســاكي هو الحصول على المرأة، ثم استمراره في الحياة بعد ذلك. يجب أن ينال المرأة والموت في اللحظة نفسها.

〚أنا لا أركض من أجل الموت، مطلقًــا ليس هذا هو الأمر! فأنا في ذلك الوقت، بالضبط في تلــك اللحظة التي تنقطع فيها روحي، لحظة الحياة المطلقة التي لم أعرفها قطُّ منذ الميلاد وحتى الآن، أعيش تلك اللحظة الواحدة المنفردة الخالصة. تلك اللحظة التي تُقدَّم إليها جميع الأفعال، تلك اللحظــة التي لا ينتهكها المســتقبل المحتوم مجيئه... تاكاكو هي من تحمل لي كلَّ ذلك. أنا **أعشق** تلك المرأة. أعشقها عشقًا لا يفوقه شــيء. لا يوجد في العالم إلَّا حماســُة الرغبة في العشق. من المفترض أنَّ أمنية أن تُعشــق، ليست حماســةً على الإطلاق! بل هي بالضبط ذلك الذي يُدعى 〚**العشــق**〛! أنا الآن على وشــك الوصول إلى تلك المرأة بكلِّ ذلك الحماس. على وشــك النظر إلى تلك العيون... إنَّ حماســتي هو ملكي أنا حتى النهاية. بالتأكيد أنا في لحظة الاكتمال تلك، أتمنــى أن أكون أنا، وألَّا أكــون أنا. أتمنــى أن أتوحَّد مع تلك المرأة. ولكن من أجل ذلك، يجب عليَّ الاستمرار في أن أكون أنا حتى

الوصول أمامها تمامًا، حتى الوصول إلى تلك اللحظة تمامًا. عندها من المفتــرض أن نندمج أنا والمرأة للمرَّة الأولى، من المفترض أن نتوحَّد معا! هل يوجد ضرورة للشكِّ في ذلك؟ لا، مطلقًا، لا يوجد شكٌّ أبدًا. أنا فقط أؤمن بذلك، أؤمن بذلك حقا!

رغم انقطاع أنفاسه إلَّا أنَّ ماساكي واصل السير قُدُما.

تتغيَّر الريح الخفيفة التي تحتكُّ بأذنه، ســريعًا إلى صوت تدفق ماء النهر، ويتردَّد من أعماقه صــدى أصوات طيور الرفراف. والغريب أنَّه يســمع ذلك الصوت مختلطًا مع صوت المرأة. ذلك الصوت الذي لم ينطق في ذلــك اليوم حتى النهاية إلَّا بكلمات الرفض، الآن يتضافر مع صوت طائرٍ خرافيٍ يصيح طالبًا الماء، ويشعر ماساكي أنَّه يحاول جذبه بكل قوَّة وتأكيد. يشعر أنَّه يقود خطواته. ينطلق صوت المرأة من الأفق البعيد، ليهمس إليه بجوار أذنه. صوتٌ لا يمكن تمييزه، هل هو كلامٌ أم لا؟ كأنَّه يغويه ويجذبه إلى مكانه في الأعالي البعيدة...

ولكن بعد لحظة، بعد أن تخطَّى غابــةً من الأحراش، اختفى فجأة الطريق من أمام عينيه.

ظلَّ ماساكي واقفًا في ذهول.

فلقد جاء بشــكل ما إلى هنا متتبعًا ما تبقى في ذاكرته، يوم أرشــده الراهــب إينيو إلى طريــق الهبوط من الجبل. ولكن، الظلام الأســود اللامع الذي انبسط أمامه، وكأنَّه أمواج ضخمة، ابتلع الطريق تماماً.

كلَّما ازداد حجــم الأحراش، ازداد قلق ماســاكي. فقد عمل على اختراق تلك الأحراش بأيِّ حالٍ للوصول إلى هنا.

تنتشر غابة من أشجار البلوط، في كآبة خالية من الملامح.

عندما توقَّف عن الركض، أصبحت آلام قدمه فجأة أكثر شدة. ولم يكن ماســاكي يستطيع تحمُّلها، لمســت ركبتيه الأرض. هجم الدوار بدون هوادة على الكتفين، وجعل الجســد كلَّــه يرتمي على وجهه في ذلك المكان.

... رائحــة الطيــن والأوراق المتعفِّنة اخترقت أنفــه. فوق الرأس صوت وقواقٍ يصيح من وقتٍ لآخر متغلِّبًا على أصوات طائر الرفراف السابقة. الجسد ثقيل، فلا يستطيع القيام واقفًا. الدماء تتدفَّق من الجرح بلا توقُّف.

وعيه أصبح مشوشًا وعلى وشك أن يفقده. وبلا وعيٍ جمع ماساكي قوته في قبضة يده.

▯.... إلى هذا الحد؟▯

فــي ذلك الوقت، أظلمت الدنيا أمــام عينه، ثم بعد ذلك، أصبحت الرؤية هذه المرَّة، على العكس، واضحة ومؤكَّدة. ببطءٍ أدار ماســاكي مقلتيه فقط في ذلك المشهد محملقًا فيه.

▯أنا ....▯

عندها انتبه ماســاكي أنَّه الآن وسط الهلاوس نفسها. ثم ومثل اليوم الأول عندمــا ضلَّ طريقه في هــذا الجبل، كان يئنُّ مــن آلام الجرح، ويزحف على الأرض وحيدًا.

▯... لا أفهــم. ولكن هل ولــو انتظرت بهذا الوضع، ســأعود إلى عالم الواقع كما يحدث دائما؟ ...هل يا ترى إذا اســتيقظت، سأطمئن وأنا أجد الطبيب ينظر متوجِّسًــا إلى وجهي، فأبتسمُ له ولمالكة النُزُل وعاملاته مراعاةً لهم جميعًا، وأنا أقابل ببطءٍ كلَّ تلك العيون، جميعها، واحدة بعد أخرى، مثل اليعسوب الذي يهبط على سطح الماء؟ أو هل

يا ترى سـأقول لهم مزحة؟... لا، بل ربما أفقد الوعي بهذا الشكل كما أنا، ثم ينقذني الراهب المبجَّل، وأستيقظُ من النوم داخل الكوخ الذي نقلني إليه. أو أمام كوخ المرأة، أو ربما على جسـر هياكوتشـو... آه، لا أدري. لقـد كنت أعتقد واثقًا حتـى الآن أنَّ هذه اللحظة لا تزيد عن أنها مجرَّد وهم من الأوهام. ولكن ألا يكون هذا المشـهد حقيقة هذه اللحظة بحـقٍ، الواقع فعلا؟ ثم ألا يكون أنني أكـون حيًا فقط، عندما أعود إلى هنا؟... لا أدري، لا أدري، ولكن دعنا من الماضي، لا شـَّك أنَّ الآن واقع معاش. لقد أتيتُ إلى هنا بالتأكيد مشـًيا. لأنني أتيت مشيًا بهذه الأقدام. أتيتُ مشـيا؟ آه، هو كذلك ولا شك. ولكن أصبح ذلك الآن أمرًا أشـكُّ فيه. إلى أيِّ مدىً يحمـل هذا معنى؟ فلن يصبح ذلك بأي حال برهانًا على أنني عشـت في الواقع. ومثل شكّي في أنني أتيت مشيًا، لا يوجد في الأغلب أي فعل من الأفعال التي أتيتها في أثناء هذا الشـهر، يمكنني تذكُّره بثقةٍ وتأكيدٍ. ورغم ذلك، كلُّ ذلك الآن قد يُفقدُ واحدًا بعد آخر. لا، ليس هذا فقط. بل وحتى فترة الأربع وعشرون عامًا التي عشتها حتَّى اليوم، تكاد كلَّها أن تذوب داخل الخيالات!

حنى ماسـاكي جسده ومد يده إلى جرح سـاقه. فقط بمجرَّد لمسه لمسـةً خفيفة، انتشـرت الآلام الرهيبة في الجسـد كلّه وكأنَّه يحترق بالنار. الدماء تتدفق بسرعة كبيرة وكأنَّ الجرح قد لُدِغ تم لدغه الآن في هذه اللحظة. الجرح مع مرور الوقت يرسـم دائرة كبيرة، وكأنَّه قد عاد مرَّة ثانية إلى الحالة التي كان عليها في الأصل.

هذا الجرح عبارة عن وسمٌ خُتم به جسدي. بل **إنه وسم خادع يبدو وكأنَّه هو ذاته لحم الجسد.**

لم يستطع ماساكي تحمُّل الآلام الرهيبة فكان يحكُّ رأسه بالأرض

مرات عدة من شـــدة الألم. انغرز غصنٌ صغير فـــي وجنته، والأوراق الذابلة سدَّت فتحتا أنفه، واتسخت شفتاه بالتراب.

〚إنني أُبتلعُ... نحو الأعماق...〛

لم يستطع انتظار الصباح. كان ماســـاكي يعلم أنَّ عمره لن يتخطى هذه الليلة.

الأنفاسُ التي تسرَّبت في تشنجٍ قلبت أوراق الشجر التي حول فمه. الأغصان فوق رأسه تصيح بهدوء.

〚هل سأموت كما أنا على هذا الحال؟〛

يحاول الوقوف. ولكـــن لا تصل قوته إلى أطرافـــه الأربعة. وكأنَّ جسد ماساكي كان يوجد بالفعل في مكان ما آخر بعيد. تدريجيًا بدأت الجفـــون تثقل، وحتى عندمـــا يطرف بعينه كانت فتـــرة إغماض العين أطـــول. والآن وكأنَّه يطرف بالعكس؛ فقط يحـــاول من وقت لآخر أن يفتح عُنوة العيون المغمضة.

ســـحب يده اليمنى بصعوبة وضغط بها علـــى عينيه. باطن الجفون يبرق وكأنه مُلأ بشـــررٍ متناثـــر. وفجأة برز ظهر المرأة. تحت الســـماء المثبَّتة بعـــدة طبقاتٍ والمصبوغة بالظلام، فقـــط القمر هو الذي يلمع مضيئًا فوق تلك البشرة البيضاء.

〚هل في هذا الوقت بالذات، تلتفت المرأة وتقتلني بنظرة من عينيها تلك؟〛

تمنى ماساكي ذلك مراتٍ عديدة في قاع وعيه المشوَّش. وهو يشمل الرجاء بالقوَّة الضئيلة المتبقية في أنامله المرتعشة.

ولكن تحت الجفون، وكأنَّ طبقة جفون ثانية قد انســـدلت، أصبح

البرق مظلمًا وضبابيًا. ثم بعد ذلك، طبقة، ثم أخرى...

أخيرًا أصابع اليد اليمنى التي وُضعت على محجر العين، سقطت على الأرض بهدوءٍ تامٍ وبدون صوت.

***

بعد مرور بعض الوقت، أحسَّ ماساكي أنَّ الجهة الأخرى من الجفون قد أصبحت مضاءة.

أصبح ظهر المرأة خفيفًا جدًا وكأنَّه رسمةٌ شفافة. تزداد الأشعة لمعانًا أكثر وأكثر، ويضغط ذلك على المشاعر. والعجيب أنَّه يسبب راحة ومتعة. وكأنَّ يدًا ليِّنة تلمسه بحنان.

شكَّ ماساكي وارتاب في أنَّه قد **استيقظ**. وهنا فتح جفونه بخوف. الأهداب انفصلت عن بعضها البعض إلى أعلى وإلى أسفل ببطءٍ شديدٍ بسبب أشعة الضوء.

كان الذي انعكس داخل عينه، فراشة تريح جناحيها فوق أرنبة أنفه. إنها الفراشة خطَّافية الذيل ذات الجمال الحزين، مثل تلك التي كانت في ذلك اليوم، تبرز فوق الأرض الخضراء التي تفيض باللامعنى، لها نقطتين بلون قرمزي مثل العلامة...

وبدت وكأنها تشعُّ أشعة خافتة للغاية.

كان جسد ماساكي ما زال كما هو في وسط الجبل. تفيض الدموع من عينيه بغزارة وسرعة.

استخدمت الفراشة أرجلها الرفيعة، التي كأنها شعرة من الرأس تم ثنيها، ببراعة ومهارة حاملة نفسها، ووصلت إلى ما بين حاجبيه مارَّةً بأرنبة الأنف. يا لشدة جمال تلك الأرجل التي ليس بها عضلٌ يدعمها،

التي بلا معنى. ذلك الملمس الرقيق قاد ماســاكي للإحســاس بحنين غريب، وذكرياتٍ بعيدة.

"....آه."

الفراشة التي هبطت على العين اليسرى، اندهشت من هذا الصوت غير المتوقَّع الذي تســرَّب، فطارت مغادرة المكان، وهي تنشــرُ أثرها وكأنَّه ثلجٌ خفيــف. عندما انجذبت العين إلى الأثــر ورفعت نظرها ، اندفع الجسد بقوَّة إلى أعلى، وعلى الفور استند الجسد إلى المرفقين. شعر ماساكي، على غير المتوقع، أنَّه قادرٌ على المشي مرَّةً أخرى.

أخيرًا اســتند إلى الأشجار المجاورة، وعندما وقف بصعوبة، هجم عليه دوارٌ عنيفٌ وكأنَّ دماء جســده كلَّها هرعــت في وقتٍ واحدٍ إلى دماغه، وذهبت من دون أن تترك قطرة واحدة في باقي الجسد. المكان أمام عينيه يلتحف بأشعة لامعة متألِّقة وكأنها قطع بلّورية بُعثرت تحت هالة الشــمس بعد تكســيرها. بلا وعي أغمض جفونه. مرَّ أمام عينيه سريعًا المشهد الذي رآه قبل وقوفه مباشرة. عندما فتح جفونه ثانية، كان المشــهد عبارة عن أشعة مبهرة للعين تشبه أشــعة النهار القوية. ثم في داخل ذلك الوميض اللامتناهي، برزت بشكل خافت ظلال الفراشة.

تتماهــى جناحيها الفاخرين مــع تلك الفراغات التــي بين الوهم والحقيقة. تلاحمت الأشعة الملوَّنة المنقبضة لتأخذ شكلًا وتتطابق مع تلك الظلال الضبابية. ساد الظلام الجبل في الليل.

كان من المفترض أنَّ الفراشة هي التي سترشده إلى الطريق. الطريق من الأصل لا توجد إلَّا أسفل ذلك البريق.

تابعها ماســاكي بكلِّ قلبه وجهده وهو يستند بيده مرات عديدة إلى

الأرض. وعندما مسح جبهته، نضح العرق على الجروح العديدة التي على وشـك الإصابة بتبلُّد الحس. الـذراع الأيمن الذي لطَّخته الدماء قليلًا، اتسخ بالأثر الذي بعثرته الفراشة من أجنحتها، فلمع وكأنَّه قشرة من التبر. الجبهة ساخنة، وسطحها مغطى ببرود بالبشرة التي لا تتوقف عن التعرُّق، والمستمرَّة في طرد البخار.

الفراشـة ما زالت صاعـدة. اخترقت بوابة أشـجار البلوط، وهي توضِّح الطريق الوحيدة التي تم تعبيدها من خلال بسـطها بأخشـابٍ شابة من ذلك البلوط على سفح الجبل. ماساكي الذي انقطعت أنفاسه ويئنُّ من شـدة الألم، يلتزم تلك الطريق بقـوَّة دفع لا تتوانى. لا يمكن نفي ضعفه وهزال جسده. ولكن الجسد الذي تعب ونحف يمتلئ بقوَّةٍ عجيبة. ماسـاكي الآن على قيد الحياة. بواسطة قوَّة من يحب، وكذلك على الأرجح بواسطة قوَّةٍ ما أضخم وأعظم من ذلك بكثير!

مع زوال الظلام تدريجيًا، اخترقت أفكار ماساكي الماضي. الضباب السـاقط في ذلك اليوم الذي ظلَّ في التيه، بعد أن لاحق الفراشة نفسها في الجبل نفسه، وجه العجوز الذي اختفى فجأة من النُزُل، مظلَّة المرأة التي رحلت إلى يوشينو، الأيام العديدة قبل خروجه لهذه الرحلة... ثم كلُّ اللحظات التي عاشها حتى اليوم. لا يستطيع مطلقًا اللحاق بالذاكرة التي كانت مثل سهمٍ انطلق معتمدًا على تلك المناظر والمشاهد. ولكن فقط في داخل ذلك منظر ظهـر تاكاكو بدون تغيير، ومنظر ذلك الوجه الجانبي الذي يمكن لمحه خفية بشكلٍ ضئيل، يظهران سريعًا بالتبادل.

لم يكـن ينعكس ذلك فقط على القلب. بل لقد رأى ماسـاكي كلَّ ذلك بأمّ عينه واحدة بعد أخرى.

مناظــر الجبل، تتحوَّل واحــدة بعد أخرى إلى صــور في الذاكرة، وتذوب، وتصبح سلســلة أوهام واحدة طويلة. تفقد الأشياء أشكالها، وتذوب الألوان في بعضها البعض. تنشــقُّ بحــدَّةٍ مناظر قاع الغابة مع كلِّ طرفة عين، ثم يُبعث من جديدٍ ذلــك الاختلاط صعب التتابع بين الحقيقة والذاكرة.

من الأفق البعيد يوجد شيءٌ ما يجذب ماساكي إليه. وعلى العكس من ذلك، من خلفه مباشرة، يوجد شيءٌ ما يقبض على قدمه المجروحة تلك ولا يريد إطلاقها لتتحرر. كلا القوَّتين تتبادلان اختطاف جســده بعنفٍ شديد. وكان ذلك ما يمكن القول عنه إنها قوَّةٌ واحدةٌ. قوَّة واحدة نتجت عن ارتباط القوتين في أعماق سحيقة. مثل سرطان بحرٍ عملاق، أخذ ســمكة صغيرة في الأسر، وأحد أذرعه يمســك برأسها، والآخر يمسك بذيلها، ويجذبها بقوَّة وكأنَّه يقول سأمزِّقها إربًا إربًا، مقرِّبًا إياها إلى فمه ببطءٍ شديد، ماســاكي الآن في طريقه إلى الهاوية أخيرًا، وهو مطحونٌ بين هاتين القوتين.

في أجنحة الفراشــة، العلامة القرمزية، تضيء بارزةً بلونٍ زاهٍ. ثم، الآن، المشــهد الذي رآه أمام بصره، الذي رفعه إلى أعلى، كان بلا أيِّ شكٍّ أو ارتيابٍ مشهد قاعة صلاة الزِن الموحشة في ذلك المعبد.

***

كانت الطريق قد وضحت بالفعل.

وبدأت تنكشــف تدريجيًا تلــك اللوحة التي قطعــت كثافة الغابة الكئيبة، وبرزت في ضبابية.

لا تبعد مسافةً كبيرة. ولكن يا لها من طريقٍ بعيدةٍ ووعرة. هناك يرقد

اللانهائي مُركَّزًا. يرقـد اللانهائي مكثَّفًا كأنَّه قد عُصر وكَثَّفَ كلَّ حركةٍ في هذا العالـم مبتلعًا إياها. كما وكأنَّ الأمر عبـارة عن التجديف في مركب بمجدافٍ بلا جناح، الجسـد لا يتقدم إلى الأمام. مقياس العين خادعٌ في كلِّ لحظة، والفجوة يمكن الشعور بها فقط مع آلام كلِّ لحظةٍ وأخرى.

الجفون تزداد ثقلًا علـى ثقل، وطرف العين يشـقُّ العالم نصفين بشكلٍ متوالٍ، مما يجعل ذلك المشهد المألوف يظهر بإلحاحٍ من ذلك القاع. الآن، عالمان يتبادلان انتزاع ماساكي بالتساوي، وفي كلِّ لحظةٍ يؤخذ جسده هذا أسيرًا لهما. يعدو ماساكي وهو يعرج. يزحف في قاع الغابـة. التغيُّر بلا نهايةٍ وبلا حدود، تتراكـم الصور الباقية واحدةً فوق أخرى، ثم تصنع منظرًا آخر مختلفًا تمامًا. ألم جرح الساق عنيف. ازداد طَرْف عيونه. وفي سـرعة هائلة أصبح ماساكي لا يتذكَّر بدقةٍ متى وأين وماذا كان يفعل هو نفسه...

وبالفعل، اختفى منظر الفراشـة. وبمجرَّد أن انتبه إلى ذلك، انزلق مزلاجٌ أمام عيني ماسـاكي، وكأنَّ بوابةً قد انفتحت، فاتسـع المشهد وامتدَّ أمامه فجأة.

وقف ماساكي مبهورًا.

لم يكن هناك شـكٌّ أنَّ تلك هي الحديقة المألوفة لديه. ولكن مهما بحـث، لا يوجد أيُّ أثرٍ ولو ضئيلٍ لمنظرها القديم. الأشـجار جميعًا سـقطت أوراقها، وذبلت الأزهار والأعشـاب، واختفت المحاصيل الزراعية تمامًا. ولا يُرى أيُّ نوعٍ من أنواع الحشرات، توجد فقط جثث الدبابير الميِّتة التي علقت في بيت عنكبوت متدلية أسفل فروع الأشجار

التي بجوارها، وهي تتأرجح في هدوء. تدفُّق الحياة المترف الذي كان يُرى في كلِّ مكان غرق بعد الذبول ولا يوجد له الآن أيُّ أثر. ثم يسيطر الظلام على المشهد تمامًا.

أصبح دوار الرأس عنيفًا مرَّةً ثانية. وخلال الفترة التي كان يتأمَّل فيها ذلك، ظلَّ ماساكي يجيء ويذهب بلا انقطاع، على مشهدٍ مخالفٍ آخر.

ازداد التململ حدَّة. عندما نظر مرَّةً أخرى إلى قاعة صلاة الزِن، لمحت عيناه الراهب إينيو نائمًا وهو جالس.

الصمت يزحف مقتربًا من أقدامه مثل مدِّ البحر، فيلتحم مع هدوء قاع الغابة، وجرح ساقه. تملَّك الرعب من ماساكي. من تلك الآلام الشديدة، تلك المتعة التي لا يمكن التعبير عنها.

"الشيء الذي اجتاحني أكثر، هو ذلك السم، ذلك الصمت."

على الفور، أدرك ماساكي تلك الحقيقة. ذلك الصمت الذي يبعده بقوَّة عن تاكاكو أكثر من أيَّة كلماتٍ وأكثر من أيِّ أفعال. ذلك الصمت الذي لا يسمح له بالوصول إلى تاكاكو، والبقاء عندها. ذلك الصمت الذي لا يسمح حتى بتخطي تاكاكو مع تاكاكو. ثم إنه ذلك الصمت الذي في النهاية لا يجعل حماس ماساكي، حبه تجاه تاكاكو، يكتمل أبدًا...

هزَّ رأسه، واندفع ماساكي بقوَّة شديدة. ينبغي أن يجتاح ذلك. في التوِّ والحال، في هذه اللحظة بالذات، ينبغي اختراقها. ليس من خلال فعل ذلك بالكلمات. ولكن فقط من خلال التقدم بقدمه خطوة للإمام.

تخطى الحديقة، وكلَّما اقترب من الكوخ، يتناهى إلى سمع ماساكي نحيب المرأة المؤثِّر وكأنَّه عقد لؤلؤ يزيِّن جيدها.

صرخ ماساكي:

«حســنًا، لا تبكِ بعد الآن! لقد جئتُ مرَّةً أخرى، من أجل أن ألقاكِ، فقط من أجل نظرةٍ من عيونك!»

استمرَّت المرأة في البكاء.

«لماذا تبكين؟ أليســت تلك الدموع من أجلــي أنا؟ لا ... لا يمكن أن أصدِّق، هــذا أمرٌ لا يمكن تصديقه، أنتِ مــن دعاني إلى هنا، أنتِ من أرشــدني، أنا موجودٌ هنا، بجوارك تمامًا... فضلًا، اخرجي الآن، اخرجي ودعيني أرى وجهك، وإلَّا فأنا ...»

دار ماساكي حول المدخل، وباندفاعٍ وضع يده على الباب. وبسبب ضغط الأصابع بقوَّة عليه، ســقط على الأرض جزءٌ من سطح الخشب المتعفِّن وكأنَّه تجمُّعٌ من الطين. ولكن الباب مغلقٌ بصلابة ولم يتحرَّك ولو قليلًا.

«لا، لا تدخل، من فضلك لا تدخل... آه، أرجوك بأيِّ شكل، ارجع من حيث جئت بحالك هذا، ارحل عن هذا الجبل.»

خوف المرأة الشــديد جعل ماســاكي يمتنع عن الدخول عنوة إلى الكوخ. ودار حوله، وتوقَّف أمام الجدار الذي يأتي منه الصوت.

ثم، مرَّةً أخرى، توجَّه إليها بالنداء وتتلاحق أنفاسه.

«هل تقولين ارجع؟ في حالي هذا؟ بدون لقائك؟ لا أســتطيع ... أنا لا أستطيع ذلك! لماذا تقولين ذلك؟ لماذا لا تسمحين لي بلقائك؟ هل أنت تعرفينني؟»

«أرجوك لا تتكلَّم أكثر من ذلك.»

«لا، أنا بالفعل عرفت كلَّ شــيء، مســيرة حياتك، وعينيك هاتين،

اللتين تقتلان من ينظر إليهمـــا... آه، ولكنِّي جئتُ بمحض إرادتي وأنا أعرف كلَّ شيءٍ ولا أمانع! رغم علمي بذلك أريد أن أنظر إلى وجهك، أريد أن أرى ذلك الوجه الجميل!▯

▯لا ينبغي ذلك. تلك رغبة شريرة.▯

▯الماذا؟ لماذا لا تجعليني أحظى برؤية ذلك الوجه؟▯

▯أنا لا أســـتطيع قتلك، آه... مجرَّد وضع تلك الكلمة على لســـاني، يجعلني أعاني وكأنَّ جسدي ينشطر نصفين.▯

▯أنت تعرفين كمـــا أتوقَّع، ما أكنّه لكِ من مشـــاعر، ولكن تحاولين التصرف كأنك تجهلين ذلك!▯

▯لا أعرف شيئا!▯

▯تعرفين أنَّ المـــوت الذي تحملينه أنتِ لي، ليس بالشـــيء التعس بالنسبة إليَّ، وتعرفين إلى أيِّ درجةٍ أنا راغبٌ فيه.▯

كســـرت تلك الكلمات الجدران، وتبعثـــرت متحطمةً كأنها أمواجٌ عارمةٌ اقتربت من الضفة.

توقَّفت الكلمات في فم تاكاكو.

▯أنا ليس لدي وقتٌ كافٍ، فأنت الآن تحاول الذهاب بعيدًا عني.▯

ألقى الصمت بثقله علـــى ذلك الظهر. غرق الكوخ في الضباب. لا ترحل مناظر الغابة عن عيونه حتى مع فتح جفونه.

من أجل أن يســـند جسده، وضع ماساكي يديه الاثنين على الجدار. أدهش ذلك الصوت تاكاكو مرَّة ثانية.

▯آه، يا للمعاناة، لم يسبق لي أن لعنتُ نفسي كما أفعل الآن، فدعوتي لكَ تُسبب لي معاناة ما بعدها معاناة، إنَّ قلبي نصفه لي والنصف الثاني

تملكـــه قوَّة ما مرعبة لا يمكن التعبير عنهـــا بالكلمات، عندما أفكِّر في شخصٍ تأتيني رغبةٌ في لقائه، ومهما كان في مكان بعيد، أقوم بلا وعيٍ بدعوته. وتتحقَّق الأمنية بالقوَّة إذا دعوته فقط.

القد ظهرتِ لي في أحلامي مراتٍ عديـــدةٍ في منظرٍ جميلٍ لا مثيل له مطلقًا.

كنـــتُ أحلم بكَ حينمـــا كنتَ تحلم بي... بالنســـبة لي لا فرق بين الواقع والأحلام، ولا شكٌّ في أني سأقتلك... آه، ولذلك من فضلك، أتوسَّل إليك، عُد من حيث جئت.

لا، إذا كان الأمر كذلك فهو أدعى بالنســـبة إليَّ، أنا وأنتِ تقابلنا في الحلم، بالنسبة إليَّ الواقع والأحلام سِيّان.

لا، فأنتَ تختلف عنِّي، أنتَ بالذات يجب أن **يستمر موتك كموتٍ** في ذاكرة الناس.

يا لها من كلمات! أنا لا أمانع، إذا كان الأمر كذلك فلأصبح أنا قطرة من الندى الليلي التي لم يستطع التاريخ الإنساني اعترافها للنهاية.

لا ينبغي ذلك.

موتي تعرفه تلك الأرض، يعرفه ذلك القمر، ثم أنتِ!

آه!

نعـــم، حياتي هي لحظة تألُّق الرذاذ المتناثـــر من موجٍ عالٍ في بحرٍ ضخـــم، هي لحظة وميض ورقةٍ نبتت في شـــجرة عملاقـــة، إذا كانت ســـتُفقد عاجلًا أو آجلًا، فليكن ذلك هنا في هذا المكان! أمامك! هل يمكـــن التفكير في ذلك؟ عندما تفكِّرين في ذكراي، عندما ترين حلمًا، لمـــاذا لا أُبعث أنا للحياة مرَّةً أخرى؟ وكما يبـــدأ القمر الذي مات في

التألُّق مرَّةً أخرى، أُبعث أنا في كلِّ مرة، أُبعث حقًا وبشكل مؤكد.»

«لا ينبغي ذلك! إذا نزلتَ إلى ســفح الجبل، بالتأكيد ستجد العديد من اللقاءات التي يشتاق لها قلبك.»

«**هــل تقولين إذا نزلت؟** ما هو المعنى يا ترى لشــيءٍ قد يحدث في المستقبل؟ هل تطلبين أن أترك هذه اللحظة، وأطلب الغد؟ آه، لا أريد أن أسمع مثل هذه الكلمات.»

اهتاجت نبرة كلام ماساكي.

«من فضلكِ، أرجوكِ أن تســتمعي إلى حبي، حبي هو ضربةٌ واحدةٌ من ســيف، ســيف يلمع بلونٍ قرمزيٍّ ملتهبٍ بعد أن سُخِّن بعنفٍ في اللهب، ويبقــى مصقولًا في النار كما هو، ولكن هــذا كلّه لم يكن إلَّا داخل غمدٍ مزينٍ بجمال، لو نُزع من غمده وســقط، لكان قاتلًا للنفس بشكلٍ مؤكد، ولكن هل توجد ضرورةٌ لإثبات ذلك بلا طائل؟ إذا كان ســيفًا، لكان من المفترض أنَّ الموت متخفٍّ في داخله، موت يحدث بضربة واحدة من ذلك الســيف! المطلوب فقــط نزعه من الغمد لمرَّة واحدة، إذا كان ســيفًا لا يقطع فســيكفي ذلك! ثم الآن قمت أنا بنزع ذلك الســيف من غمده، نزعته أمامك، وألقيت بالغمد بعيدًا منذ فترة، ولا أقــدر على وضعه في غمده مرَّة ثانيــة! عليكِ أنتِ فقط أن تقبضي على ذلك المقبض ثم وضعه على صدري، ثم غرزه بكل قوى جسدك! عميقًا، عميقًا، **إلى درجة شقٍّ وتمزيق الأفق البعيد!**»

بكــت تاكاكو بنحيــبٍ عنيف. الكلمــات أصبحــت متوحِّدة مع ماســاكي. حقيقيةً إلى درجة التوحُّد، ولكنها عديمة الفائدة إلى درجة التوحُّد أيضًا. الكلمــات مزقتها، فتناثرت إلى فتــات، وتخطتها بكل سهولة. تاكاكو الآن تفهم ماساكي مباشرة.

ولكن حتــى في تلك الفتــرة، كان الصمت يلمع مســتحوذًا على المكان. أصبح ظلُّ الكوخ بعيدًا وضبابيًا، وغرق مترسّبًا في قاع الغابة. يحسُّ بصداع شــديد، أخذ ماســاكي تدريجيًا يفقد إحساس اللبلاب الذابل المتآكل من راحتي اليدين الراســختين على الجدار. آلام جرح الساق تشتدُّ. الحلق ملتهب.

مثــل قناديل البحر التــي ألقت بها الأمواج على الشــاطئ، ترتطم أمواجٌ باردةٌ بأسفل بطن ماســاكي. تأتي ثم ترحل، مثلما تنكشف عنه الرمال المحيطة به تدريجيًا وشــيئًا فشــيئًا، وفي النهاية تبتلع الأرض جســده. الليل شــديد العتمة. أصوات الوقواق عالية. نفاد الصبر يدقُّ بعنفٍ أجراسه داخل طبلة الأذن.

دخلت عينه نقطة عرقٍ تجمَّعت على الصدغ. مدَّ ماساكي عنقه. ثم أوصل وعيه الشارد المضمحلّ إلى القمر البارز أمام عينيه.

مرَّت مناظر متعددة على تلك المرآة الســاطعة في سماءٍ خالية من الغيوم. يستطيع ماساكي أن يعكس منظر المرأة هناك الآن بكل وضوح. ذلك الشعر، وتلك الذراع، وذلك الظهر.

ثم ذلك الوجه الذي يســتمر في الاشتياق إليه، وتينك العينان، حقًا في تلك اللحظة التي ستظهر له فيها، في اللحظة التي تنظر إلى الخلف وتصيب ماســاكي مخترقةً إياه، من داخــل الكوخ، تردَّد صدى صوت تاكاكو يشقُّ الظلام.

آه، لم يعد هناك حيرةٌ أو تردُّد، حان الآن أن أعرب عن نفســي، إلى أيِّ درجةٍ أنا أيضًا أفكِّر فيك، إلى أيِّ درجةٍ أعشقك، منذ زمن بعيد، آه، نعــم، لم أنسَ ولو للحظة من الزمن، إلى درجــة كان حبي هذا عميقًا، إلــى درجة كان مؤلمًا ومحزنا! حبي الذي يئســت منه منذ البداية قائلة

إنه لا يُفترض أن يتحقَّق، إنه الآن، يا لها من معجزة! ها هو على وشك التحقُّق، ها أنت تبذل حياتك لي من أجل حبي!

الصوت وصل إليه بالتأكيد. ماساكي وصوته يتحشرج بفعل الدمع والتأثُّـــر، صرخ متجهًا بكلامه نحو القمر فـــي الأفق البعيد الذي يغرق تدريجيًا مع مرور الوقت في الظلام.

إذا كان الأمر كذلك، أرجوكِ بأيِّ شـــكلٍ أن تخرجي من كوخك! اخرجـــي، وانظري بعينيك هاتيـــن إلى وجهي، انظـــري إلى وجه من يحبُّـــكِ، إلى وجه من أحبَّكِ، بحزم وتأكيد! ولا ضير أن تعيشـــي أنتِ مع تلك الذاكرة، ولكن مع التفكير في ذلك الوجه وتينك العينين اللتان رأيتهما لمرَّة واحدة فقط!

لا، وكيـــف لي القدرة علـــى قتلك وحدك؟ أنا كذلـــك لا أريد أن أفقـــد تلك اللحظـــة، تلك اللحظة معـــك أنت، تلـــك اللحظة التي لا توجـــد في الحياة إلَّا لمرَّة واحدة فقط! أرجوك بأيِّ شـــكل، لا تتركني وحيـــدةً وترحل بمفردك! كيف لي أن أعيـــش طويلًا بعد فقدك؟ كيف لي أن أواصل تحمُّـــل تلك المعاناة؟ أرجوك بأيِّ شـــكلٍ أن تنظر إلى عينيّ البائســـتين هاتين، ثم أرِني وجهك، أنا أريد أن أموتَ معك، أريد الموت، معك أنتَ، الوحيد الذي أحببته في حياتي، الآن، بجانبك!

كلمات المرأة جعلت ماساكي يرتعش.

آه... يـــا له من قـــول! هو كذلك، تلك هي الكلمـــات التي تمنيتها ســـرًا، الكلمات التي أردتها! فـــي تلك اللحظة! فـــي لحظة الوصول لمنتهى الســـعادة تلك! أنا أيضًا بالتأكيد أريد أن أموت معكِ، بجواركِ ومعـــكِ!... آه، ولكن، لا يمكن لي قول ذلك، بالوصول إلى هذا الحد أنا نادم على قولي هذا... شيءٌ ما يأتي مقتربًا... هل فات الوقت حقًا؟

دوامة كبرى تبلتعني... ظلام، ظلام دامس... لقد فات الوقت... القمر يغرق ذاهبًا... حســنًا، بسرعة، بسرعة، أريني ذلك الوجه... شُقِّي تلك الظلمة، دمريها، ثم، بعينيكِ هاتين، هاتين العينين اللتين تلمعان، ارميني واخترقيني... للعمق... أنا... كلِّي!...

* * *

... قمَّة الجبل ترتوي بشمس الصباح، وعندما كادت أن ترتفع بارزة في الســماء أخيرًا، ارتدى إينيو الذي خرج من قاعة صلاة الزِن، خُفَّ القشِّ، وسار بمفرده متوجِّهًا إلى كوخ تاكاكو.

يصيح طائر الرفراف من وقــتٍ لآخر وهو ينقر بمنقاره بواقي الليل المتراكمة فوق أشجار الحديقة. المنقار الأحمر الطويل ينعكس متلألئاً رائعًا على الصبــاح الصافي. يكرِّر حركته مــع كلِّ اهتزازةٍ للأغصان. عند موضع الأقدام، ورقة شــجر ذابلة واحدة، تتدلى وهي على وشك السقوط في التوِّ والحال.

العصافيــر التي تجوب الحقول بحثًا عن الطعام، اندهشــت لطيف الراهب، فطارت جميعها مرَّةً واحدة، وهرب كلّ عصفور على حسب ما ترائى له، منها ما طار فوق مبنى قاعة الزن ومنها ما طار فوق ســقف الكوخ، وهي تصدح من وقت لآخر.

صباحٌ هادئٌ لا يختلف عن المعتاد.

عندما كان على وشــك المرور بالحديقة، توقفــت عينا إينيو فجأة على نبات الإيدوليــس الذي تفتحت زهراته بالقرب من أقدامه. داخل الحديقة التي ذبل واضمحلَّ أغلب ما فيها تقريبًا، هذا المكان الوحيد، هو فقط الذي تتبقى فيه الزهور بشــكل يدعــو للعجب. ذلك التجمُّع الجميل المنتشر على الأحجار التي تغطِّيها الطحالب الخضراء، وكأنَّه

يلفُّها كــرداء، تمتصُّ هواء هذا اليوم اللذيــذ المنعش، وتنافس أوراق الزهور الزاهية.

كان ذلك وكأنَّه بعدُ حلمٌ في غاية الطهر.

كانت تاكاكو واقعة أمام باب الكوخ. غطّى الشعر الأشعث جزءًا من وجهها الذي كان مثل سـطح خزفي جميل اعتلته زرقةٌ خفيفة. ينساب من فمها وكأنَّه أحمر شـفاه قد خُطَّ عن طريــق الخطإ، خطٌ من الدماء الطازجة ليصل إلى الأرض، وهناك صنعت الدماء بقعةً صغيرة.

بعــد أن صمت للحظة واقفًا في خشــوع، وضع إينيو إحدى ركبتيه على الأرض، وحمل تاكاكو بذراعيه.

كانــت الجثة خفيفةً وكأنها قطعةٌ مــن الحرير الخالص. عندما كان على وشــك الوقوف، العنق الذي كان مرفوعًا، تدلَّى بين المرفقين، ثم توجه الفكُّ إلى السماء، وانفتحت الشفتان قليلًا.

يُسمع صوت طائر الوقواق يأتي من عمق الغابة.

بدأ إينيو في السير.

زادت أشعة الشمس من تألُّقها تدريجيًا، ثم ها هي تنير وجه تاكاكو مبــرزةً إياه. الجفون مغمضــةٌ في جمال، والرمــوش المبتلَّة تلمع في صخب.

بعد أن ســار قليلًا، توقَّف إينيو وعطس عطســة كبيــرة. وبالمثل، انسكبت بين ذراعيه خصلةٌ من الشعر الأبيض الملطخ بالدماء، واهتزَّت في هدوء متمايلةً مع الريح...

عندما كان الراهب على وشك الوطء بقدمه للسير مرَّةً أخرى، نظر إلى الخلف ببطءٍ شديدٍ وكأنَّ شخصًا أوقفه مناديًا إيّاه.

في تلك اللحظة، ومن وســـط بركة الدماء التي تُركت مكان تاكاكو، طارت فراشةٌ ترفرف بجناحيها مبهرةً للعين.